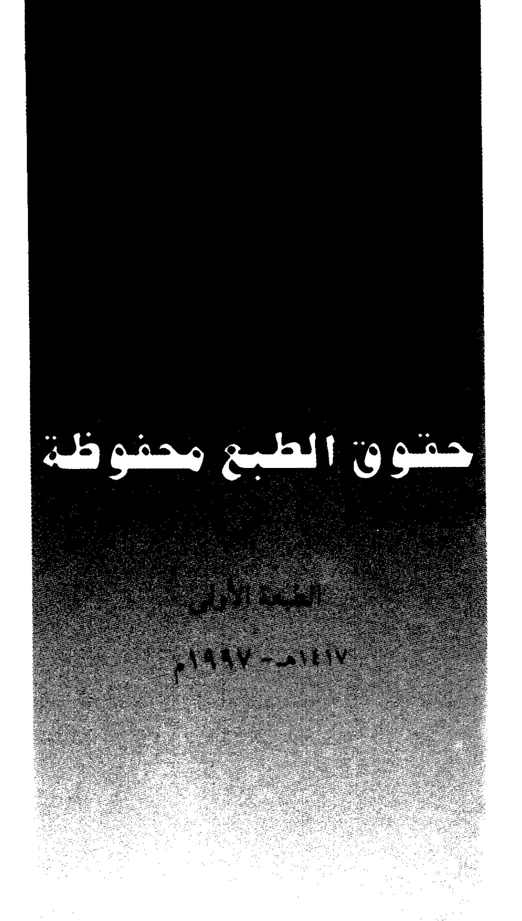
آيات الدعاء في القرآن الكريم

الإنسان والدعاء

الدكتـــور
محمد محمود أحمد

الدكتـــور
موسى الخطيب

مركز الكتاب للنشر





مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيد الدُّعاة، وإمام الرعاة، وقائد الهداة، وسيد المجاهدين، وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فإن الإنسان أعظم ماخلق الله. خلقه سيداً وخليفةً له فى الأرض وحمّله الأمانة وتبعات النهج الإلـهى، وهداه السبيل وجعل فى نفسه هداها وألهمها فجورها وتقواها.

والإنسان هو أكرم مخلوق على الله عز وجل، فلقد كرمه وفضله على كثير من خلقه.

قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** (٧٠) ﴾[١].

وهو فى الوقت نفسه ضعيف لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً، إلا ماشاء اللّه، وقد وهبه الله العقل ليميز به بين الطيب والخبيث، ويستفيد من خيرات هذا الكون الفسيح، وعلمه أمانة متى وجد السبب ترتب عليه المسبب.

قال تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا** (٩١) **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا** (٩٢) ﴾[٢].

لكن هذه المسببات قد تتخلف عن أسبابها، وحينئذ يلجأ الإنسان إلى خالق الأسباب والمسببات وهو الله تعالى ليمده بمدد من عنده. ومن هنا علّمنا المولى

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الكهف: ٩١ - ٩٢

سبحانه وتعالى أن نلجأ إليه فى كل شىء وأن نستمد منه العون والتأييد لأنه خالق الأسباب والمسببات.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

والدعاء سُنة الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وسُنة المؤمنين ممن معهم وممن بعدهم،فما من نبى ولا ولى لله صادق رفع الشكوى إلى الله إلا استجيبت دعوته ولم تضع بين يدى الله عبْرته وخشيته، وإذا تصفح أحدنا كتاب الله العظيم، وقرأ أخبار الأنبياء لتيقن أن بركة الدعاء لاحدّ لها «وليس شىء أكرم على الله عز وجل من الدعاء».

وأشرف العبادة الدعاء ورأسها بعد كتاب الله عز وجل، قال ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء»[2] ، ومن لايسأل الله يغضب عليه، وقال النبى ﷺ: «إسأل الله من فضله فإن الله يحب أن يُسأل». وقال ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»[3].

ومن الممكن أن توصد أمام الإنسان جميع الأبواب، ولكن باباً واحداً لايغلق أبداً؛ بل هو مفتوح على مصراعيه دائماً وأبداً، إنه باب الله عز وجل،إنه باب السماء، ترفع رأسك لتخاطب وتناجى ربك الذى فوق السماوات العلى، يسمع نداءك، ويستجيب لدعائك خاصة إن كنت صادقاً فى دعائك؛ مخلصاً فى ندائك،وأنت مظلوم مهضوم، فإن دعوة المظلوم مجابة، قال النبى ﷺ: «ثلاثة لاتُرد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب تبارك وتعالى: «وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين» رواه أحمد والترمذى.

---

(١) غافر: ٦٠

(٢) صحيح الجامع برقم ١١٣٣

(٣) صحيح الجامع برقم ١٠٥٥.

والأدواء التى أصابتنا هذه الأيام كثيرة ومتعددة الجوانب، ولاأستطيع بل لاأريد أن أطيل فى بيانها فى هذه المقدمة الوجيزة، ولاسبيل إلى التغلب عليها إلا باللجوء إلى الله وطلب العون منه سبحانه وتعالى.

رُوى أن الله عز وجل أوحى إلى عبده ونبيه داود عليه السلام ياداود من دعانى أجبته، ومن استغاثنى أغثْته، ومن استنصرنى نصرته،ومن توكل علّى كفيته، فأنا كافى المتوكلين، وناصر المستنصرين، وغياث المستغيثين، ومجيب الداعين».

وإذا دعوتم الله فقد استجبتم لرسول الله ﷺ: فقد أخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من فتح له باب الدعاء فُتحت له أبواب الرحمة، وماسئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية وأن الدعاء ينفع ممانزل ومما لم ينزل، ولايرد القضاء إلا الدعاء، فعليكم بالدعاء» انتهى. عباد الله هكذا يطلب منا رسولنا الأمين «فعليكم بالدعاء» ففيه الشفاء بإذن الله، وفيه النجاء، وفيه البقاء برد القضاء، ولايرد القضاء إلا الدعاء كما أنبأنا بذلك رسول رب الأرض والسماء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.. فيجب أن نسأل الله ونتوجه إليه بالدعاء صادقين وهو تبارك وتعالى محول الأحوال، ومقلب الليل والنهار، أن يُغير حالنا إلى أحسن حال..

اللهم أصلح قلوبنا، وأزل عيوبنا، وتولنا بالحسنى وزيّنا بالتقوى،واجمع لنا خير الآخرة والأولى، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا ياِبر ياتواب يارحيم، واهدنا إلى الحق وإلى الصراط المستقيم إنك على كل شىء قدير. وبالإجابة جدير،وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلفان

الفصل الأول

قصة آدم عليه السلام
وأول دعاء بشرى

المبحث الأول

آدم . . هو الأب الأول للجنس البشرى، واختلفوا[1] لمَ سُمى آدم على قولين: أحدهما أنه خلق من أديم الأرض وهو وجهها، قاله ابن مسعود وزيد بن ثابت ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، والثانى أنه مشتق من الأدمة وهى سُمرة اللون، رواه مجاهد عن ابن عباس، وذكر أبو اسحاق الثعلبى أن كلمة «آدم» مأخوذة من اللفظة العبرية وهى «أداما» ومعناها الأرض للدلالة على الأصل الذى خلق منه وهو الطين. وهذا كله يفيد معنى حُمرة اللون كما يشير إلى الأصل الذى خُلق منه آدم،وآدم اسم عربى وليس بعجمى؛ ذكره أبو منصور بن الجواليقى فى كتاب المعرب قال[2]: أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة وهى آدم وصالح وشعيب ومحمد ﷺ.

وقد ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى خمسة وعشرين موضعًا[3]، وأول من قصّ الله تعالى علينا فصصهم فى القرآن الكريم من الأنبياء «آدم» أبو البشر

(١) فى قصة آدم. انظر الكسائى ٢٣، والثعلبى٢٤، وتاريخ الطبرى ١ / ٨٦، والبداية والنهاية ١ / ٦٨، وتهذيب ابن عساكر ٢ / ٣٤١ (ط: بيروت).

(٢) المعرب : ١٣.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وقد ذُكرت قصته فى سورة البقرة، والأعراف والإسراء والكهف، وفى سورة طه باسمه وصفته، وفى سورة الحجر، وفى سورة ص بصفته فقط، وكلها بمعنى واحد ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط، وذلك مما يدل على إعجاز القرآن الكريم.

سر التكرار وفوائده فى قصص الأنبياء في القرآن الكريم:

قال الرافعى[1]: وههنا معنى دقيق فى التحدى: ما تظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجبا؛ وهو التكرار الذى يجىء فى بعض آيات القرآن، فتختلف فى طرق الأداء وأصل المعنى واحد فى العبارات المختلفة كالذى يكون فى بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونحوها.

وقال الخطابى[2]: ومما يلفت النظر فى قصص الأنبياء هو أن معانى القصة ترد مكررة فى مواضع شتى من سور القرآن، وهذا التكرار لا يتناول القصة كلها، وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها، وسبب ذلك أن المعانى الأدبية والفنية هى مقصود القرآن من القصص، وهى الأمور التى يبحث عنها، وهى الأمور التى تجعل الحادثة الواحدة تصوّر بصور مختلفة، ويُعبر عنها بعبارات متفاوتة حسب الظروف والمناسبات».

فتارة يجىء أسلوبه فى موطن عن طريق الإطناب، وفى مواطن أخرى عن طريق الإيجاز مع اختلاف الفواصل من موطن لآخر ومع التنوع بالعبارات البليغة والألفاظ العذبة ووضوحها وحُسْن المعرض،وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار وتوكيداً ومبالغةوإبانة وتحقيقًا ونحوها؛ ثم استعمال الترادف فى اللفظ والمعنى، ومقابلة الأضداد غيرها، مما هو فى نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية وتحسين للتكرار المعنوى.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى: ص ٢٢٠.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابى: ص ٢٨.

هذا التكرار البليغ برهان على أن القرآن وحيًا إلهيًا يستشعره كل مطلع على أسرار فصاحة اللغة العربية، فالشاعر أو الكاتب، مهما أوتى من البلاغة والفصاحة، إذا كرر قولا لا يكون كلامه الثانى بدرجة الأول فى الفصاحة بل تظهر عليه علامات الضعف والتكلّف والتفكك، أما أسلوب القرآن فقد بلغ الغاية فى الفصاحة فى جميع ما كرّر من قصص وسواها.

وقد خفى معنى هذا التكرار على بعض الملحدة وأشباههم ومن لانفاذ لهم فى الأسرار العربية ومقاصد الخطاب والتأتى بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة، وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة سعة، وهو - أخزاهم الله - كان أروع وأبلغ وأسرى عند الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها، لو أعجزهم أن يجيئوا بمثله ما أعجزهم أن يعيبوه لو كان عيبًا!

ولابد من الإشارة إلى أن فى التكرار أثرًا ملموسًا فى التأثير على الجماعات والأفراد فإذا تكرر الشىء رسخ فى الأذهان رسوخًا ينتهى بها إلى قبوله، وهذه حقيقة ساطعة.

إذن فما هى الغاية من أيراد قصص الأنبياء فى القرآن على هذا النحو؟

بين لنا الحق تبارك وتعالى الغاية من إيراده قصص الأنبياء عليهم السلام على هذا النحو فى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[1]. ويخاطب الله رسوله محمدًا ﷺ بقوله: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ** أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[2].

---

(١) يوسف: ١١١.
(٢) هود: ١٢٠.

فجملة: ﴿وَجَاءَكَ فِى هَذِهِ الْحَقُّ﴾ إشارة إلى أن القرآن أتى بوقائع صحيحة من التاريخ ليبين لأتباع الأديان القول الفصل فى القضايا التى اختلفوا فيها حول حقيقة الأنبياء ورسالتهم والدفاع عما ألصق ببعضهم من تهم وأباطيل.

ذكر قصة خلْق آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له:

قال أحمد بن حنبل[1] بإسناده عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوه على قدر ذلك . . جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب ،والسهل والحزن، وبين ذلك قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، ولهذا اختلفت ألوان بنيه. وقال أحمد بن حنبل[2] بإسناده عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة» فيه خلق، آدم وفيه دخل الجنة، وفيه أُخرج منها، ولاتقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة، انفرد بإخراجه مسلم، وقد روى فيه زيادات عن طريق أبى لبابة بن عبد المنذر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، وذكره، وفيه ساعة لايسأل العبد فيها الله شيئاً إلا أعطاه إياه الحديث. . . وفيه توفى آدم». وروى ابن سعد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس ولد آدم، وآدم من التراب»[3].

وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة، فقد وُجد أن الجسم الإنسانى يتكون من سلالة خاصة من عناصر القشرة الأرضية بنسب خاصة. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[5].

---

(١) مسند أحمد: ٤/ . . ٤، ٦ ٠ ٤، والترمذى: تفسيره سورة (٢)، وأورده الثعلبى: ٢٧، والطبرى فى تاريخه: ١/ ٨٩، وطبقات ابن سعد: ١/ ٢٦، وتفسير الطبرى: ١/ ٤٨١.

(٢) مسند أحمد: ٢/ ٢٧٢، ٣٢٧، ٤١٨، ومسلم (جمعة؛ ١٧، ٨).

(٣) طبقات ابن سعد: ١/ ٢٥.

(٤) ص: ٧١.

(٥) الحجر: ٢٨.

والطين كما هو معروف هو التراب المختلط بالماء، والمراد بـ (الحمأ المسنون) هو الطين الأسود المتغير الرائحة، ويقول البيضاوى فى تفسيره: إنه الطين المتغير المسوّد من طول مجاورة الماء له.

ويقول العلم الحديث[1]: إن نشأة الحياة كانت من الطين الآسن وهو طين المستنقعات الذى تتصاعد منه الغازات الكريهة الرائحة مثل غاز الميثان (CH_4)، وغاز كبريتور الهيدورچين (H_3S) وغاز النوشادر (NH_3)، وترى صورة ضخمة فى قاعدة المتحف الطبيعى بلندن تصوّر كيف تجمعت هذه الغازات المنتنة من الحمأ المسنون لتكوّن الأحماض الأمينية.. ومنها تكونت البروتينات وأهمها الحامض النووى الذى به سر الحياة. قال تعالى: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ** ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

ولله در أبى العلاء المعرى حيث قال:

خفّف الوطء واتئد يا حادى	إنما أنت سائر بفؤادى
خفّف الوطء ما أظن أديم	الأرض إلا من هذه الأجساد

سوّى الله آدم من طين من حمأ مسنون ـ متغير ـ حتى إذا صار ذلك الطين صلصالاً ـ يصلّ إذا ضُرب ـ كالفخار، نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان حى من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك ويدرك بإرادته ويفكر إذ أودعه الله سرًا من أعظم أسرار الحياة وهو العقل. ثم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، سجود تكريم بالطبع لاسجود عبادة، لأن الله لا يأمر أحدًا أن يتوجه بالعبادة إلى سواه، وبعبارة أخرى كان ذلك احتفالاً بتمام تكوين آدم بشرًا سويا. فسجد الملائكة كلهم أجمعون امتثالاً لأمر الله تعالى.

---

(١) كتاب من دلائل الإعجاز فى القرآن الكريم والسُّنة النبوية. تأليف د. موسى الخطيب. ص ٦١، ٦٢.
(٢) طه: ٥٥.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1] ففى هذه الآية ثلاث مكرمات خصّ الله بها آدم:

أولا: خلقه بيده.

ثانيا: نفخه فيه من روحه.

ثالثا: أمره الملائكة بالسجود له.

امتناع إبليس اللعّين ومخالفته أمر الله بالسجود لآدم تكبرًا وما كان من أمره:

سجد الملائكة كلهم لآدم ـ أمتثالاً لأمر الله ـ إلا إبليس كان من الجن، فخانه طبعه وجبلته فاستنكف عن السجود لآدم، وخاصم ربه عزّ وجل فيه، وادعى أنه خيرٌ من آدم، فهو قد خلق من نار، بينما آدم قد خلق من طين والنار فى زعمه أفضل من الطين، وأبدى غاية التكبر، فكفر بذلك وطرده الله عن باب رحمته، ومحل أنسه، وحضرة قدسه.

طرده الله من الجنة، ولعنه لعنة دائمة إلى يوم القيامة بسبب كبريائه.

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ[2] مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾[3].

---

(١) الحجر: ٢٨، ٢٩.

(٢) إبليس: اسم أعجمى، وقال أبو عبيدة: إنه عربى مشتق من الابلاس وهو الإبعاد عن الخير أواليأس عن رحمة الله.

(٣) ص: ٧٣ ـ ٧٨.

أمر جازم، وحتم لازم، فالعصيان نتيجته الحرمان، وعاقبته الطرد عن رحمة الرحمن ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وليس هذا فحسب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ وبعد هذا ستلقى الجزاء الموائم والعقاب الحتم.

فإبليس مخلوق عاص متمرد، وآدم طائع مُمْثل، فيه طبيعة البشر وخليقة الإنسان من السهو والنسيان، قابل للطاعة والمعصية فيه الأضداد والإعداد للتعلم، تارة يفعل وتارة يسهو، وتارة يتذكر ويتوب، فيه الخلائق كلها وهو غير عارف قدر نفسه.

ظهرت طوية إبليس وبان حقده، فكان سر الوجود الدنيوى به مملكة مدبرة، وخليقة مسيّرة للغاية معلومة، فأهل الجنة للجنة وأهل النار للنار.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[1].

استجاب له ربه ليكمل رسالته، وما رسالته إلا الشر والغواية، والضلالة والعماية، إذ سيبدأ الصراع الحقيقى، والعناء المستمر بينه وبين أبناء وأحفاد ذلك المخلوق آدم عليه السلام.

فيتمادى اللعين فى الغى ويمْعن فى الضلال والإضلال.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2].

وفى سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[3].

---

(١) ص: ٧٨ - ٨١.
(٢) ص: ٨٢ - ٨٣.
(٣) الحجر: ٣٩ - ٤٠.

إقرار بالعجز أمام المقدرة الإلهية، ونطق صدق بما كان وما سيكون، واعتراف بالقدر، وأن الإله القدير هو المسيطر وهو الذى يهب الهدى والضلال ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ وجعلتنى على هذا المنوال من الخليقة، وقدّرت على أن أكون هكذا كما خلقتنى لأزيِّن لهم فى الأرض بكل زينة ممكنة، وأوسوس لهم بكل قدر مستطاع، فهذا قدرى والمرسوم من قسمى، فلأنتقمن من هذا المخلوق الذى كان سر شقائى وأصل بلائى، وسيكون عملى إغواء من أستطيع إغواءه، وهم الكثرة الكاثرة، لا يفلت منى إلا عبادك منهم المخلصين لديك المقَّربين عندك.

فيُجاب بالقوة العالية، والحكمة النافذة، والسيطرة الشاملة.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣)﴾[1].

وتكون كلمة الرحمن الختام ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فإنهم غافلون لاهون، عميت بصيرتهم عن الحق والخير وغلبت عليهم نفوسهم، ووسوس إليهم الشيطان فزَيّن لهم الشر، وقضت عليهم شقوتهم فجزاؤهم ومن اتّبعوا جهنم وبئس المصير، وهو جزاء وافر كامل.

أما المخلصون من عباد الله المؤمنين فليس لإبليس عليهم سُلطة ولا قدرة لأنهم توكلوا على ربهم، وكفى بالله نصيرًا.

وإلى هنا يلعب القدر دوره، وينفذ المحتوم، وتجرى الأمور على قدرها، وتنفذ إرادة الرحمن على مداها.

خلق آدم لاستخلاف الله فى الأرض

ثم بين الله السبب الى من أجله كان خَلقْ آدم، وبدأ فأخبر ملائكته أنه سيجعل آدم خليفة له فى الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ

---

(١) الحجر: ٤٢ ـ ٤٣.

﴿فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي خالق فى الأرض ومتخذ فيها خليفة يخلفنى فى تنفيذ أحكامى فيها، وعمارة الكون وهو آدم، أو قومًا يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ أى قالوا على سبيل التعجب والاستعلام: كيف تستخلف هؤلاء، وفيهم من يفسد فى الأرض بالمعاصى، ويريق الدماء بالبغى والاعتداء!! ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أى ننزهك عما لا يليق بك متلبسين بحمدك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أى نعظّم أمرك ونطهّر ذكرك مما نسبه إليك الملحدون ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أى أعلم من المصالح ما هو خفى عليكم، ولى حكمة فى خلق الخليقة لا تعلمونها، أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء. ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أى أسماء المسمّيات كلها، ليظهر فضل آدم على الملائكة، قال ابن عباس: علمّه أسماء الخلق والقرى والمدن والجبال وأسماء الطيور والأشجار وما كان وما يكون، وكل نسمة الله خالقها إلى يوم القيامة. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾ أى عرض المسميات على الملائكة وسألهم على سبيل التبكيت ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي﴾ أى أخبرونى ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ أى بأسماء هذه المخلوقات التى ترونها ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أى فى زعمكم أنكم أحق بالخلافة ممن استخلفته، والحاصل أن الله تعالى أظهر فضل آدم على الملائكة، بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة، وخصّه بالمعرفة التامة دونهم، من معرفة الأسماء والأشياء، والأجناس واللغات، ولهذا اعترفوا بالعجز والقصور ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ أى ننزّهك يا الله عن النقص ونحن لا علم لنا إلا ما علمتنا إياه ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ﴾ أى الذى لا تخفى عليه خافية ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أى أعلمهم بالأسماء التى عجزوا عن علمها، واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أى أخبرهم بكل الأشياء، وسمّى كل شىء باسمه، وذكر حكمته التى خُلق لها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أى قال تعالى للملائكة: ألم أنبئكم بأنى أعلم ما غاب

فى السموات والأرض عنكم ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ أى ما تظهرون ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أى ما تسرون من دعواكم أن الله لا يخلق خلقًا أفضل منكم. قال السدى: لما قال الله إنى جاعل فى الأرض خليفة، قالت الملائكة فيما بينهم: ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقًا أفضل ولا أكرم عليه منا وإن كان خيرًا منا فنحن أعلم منه لأنا خُلقنا قبله، ورأينا ما لم يره، فلما أُعجبوا بعلمهم وعبادتهم فضّل الله عليهم آدم بالعلم فعلّمه الأسماء كلها، وهذا قول الحسن وقتادة وعامة العلماء[1].

الفوائد:

الأولى: قال بعض العلماء فى إخبار الله تعالى للملائكة عن خلق آدم واستخلافه فى الأرض، تعليم لعباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يُقْدموا عليها.

الثانية: الحكمة من جعل آدم عليه الصلام خليفة هى الرحمة بالعباد لا لافتقار الله، فإن لله غنى عن العالمين، ولأن العباد لا طاقة لهم على تلقى الأوامر والنواهى من الله بلا واسطة، ولا بواسطة مَلَك، فمن رحمته ولطفه وإحسانه إرسال الرسل من البشر.

الثالثة: قال الحافظ ابن كثير: وقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية، ليس هذا على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبنى آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة فى ذلك،يقولون: ما الحكمة فى خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد فى الأرض؟[2]

وقال فى التسهيل: وإنما علمت الملائكة أن بنى آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: كان فى الأرض جن فأفسدوا فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم، فقاس الملائكة بنى آدم عليهم[3].

---

(١) تاريخ الطبرى: ١/٩٩.
(٢) مختصر ابن كثير جـ ١ ص: ٤٩.
(٣) التهسيل لابن جزى: جـ ١ ص: ٤٣.

الرابعة: سُئل الشعبى: هل لإبليس زوجه؟ قال: ذلك عرس لم أشهده؟ قال: ثم قرأت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِى﴾ فعلمت أنه لا يكون له ذرية إلا من زوجه، فقلت: نعم[1].

خلق زوج آدم:

وتوحى القصة أن الله خلق زوج آدم من نفس العناصر والمكونات التى خلق منها آدم لقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2] وقوله: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[3]. وقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[4].

وهذا المعنى يختلف اختلافًا كليًا عم يعتقده اليهود والنصارى وغيرهم ممن لفّ لفّهم، من أن زوج آدم قد خُلقت من أحد أضلاعه المكونة لقفصه الصدرى. فقد جاء فى العهد القديم ما نصه: (فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم)[5].

وقد أخذ بعض المسلمين بهذه العقيدة بسلامة نية من غير دراسة أو تفكير[6].

* * *

(١) محاسن التأويل: جـ٢ ص: ١٠٤.

(٢) النساء: ١ (٣) الأعراف: ١٨٩.

(٤) الزمر: ٦ (٥) تكوين ٢، ٢١، ٢٢.

(٦) عرض الطبرى أقوالا لمجاهد وقتادة والسدى يذكر منها ما قالته اليهود، وروى بسنده كذلك عن ابن اسحق قال: القى على آدم السنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس وغيره: ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كشفت عنه السنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه، فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمى ودمى وزوجتى فسكن إليها (جامع البيان: ج ٤ ص ١٥٠)، وممن تأثر بهذه العقيدة اليهودية السيد محمد صديق خان بهادر بها ملك مملكة بهوپال قال: وكان خلق حواء من ضلعه الأيسر، مجهة اليمين أضلاعه ثمانى عشرة وجهة اليسار أضلاعه سبع عشرة (حسن الأسوة ص ٥)، وذكر هذا الرأى فى روح المعانى (ج١ ص ١٩٦).

وعلل القائلون بهذه العقيدة بأن الذكر ينقص ضلعًا عن الأنثى مع أن الثابت فى علم التشريح أن القفص الصدرى يتكون من (٢٤) ضلعًا، منها أثنى عشر ضلعًا فى الجهة اليمنى، وأثنى عشر ضلعًا فى الجهة اليسرى، ولا يختلف هذا التركيب فى الجنسين[١].

فالصحيح ما قدمنا وهو أن زوج آدم خُلقت من نفس العناصر التى خُلق منها آدم، وإن نقسها نفس إنسانية، فهى من الجنس البشرى وليست من جنس الملائكة أو الجن أو الحيوانات، فالله خلق زوج آدم من نفس نوع آدم كما خلق لنا من أنفسنا أزواجًا، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢] وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١] وليس معنى هذا أن الله خلق من ضلوعنا أزواجًا.

ومثل ما تقدم قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أى من الجنس البشرى من بنى آدم؛ وليس من جنس الملائكة، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ [الإسراء: ٩٥].

أما الحديث الذى جاء فيه: استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء[٢]، إن صح[٣] فإنما يدل على معنى مجازى، وهو إن

---

(١) ومما يجدر ذكره أن الله تعالى لم يخلق هذا العدد من الضلوع عبثًا فكل ضلع منها لازم للقفص الصدرى، وليس عنه غناء، حتى الضلع الثانى عشر (الأيمن والأيسر) فهو على قصره له خطره فى بناء الصدر لأنه موضع اتصال لعدد كبير من العضلات والأربطة الأساسية فى بناء الجسم، وشأنه شأن باقى الأعضاء، وإنه لمن نعم الله أن جعل هذا الضلع قصيرًا لأسباب حيوية هامة ليس هنا مقام تفصلها.

(٢) بخ ح ٣١١٦ ك. ٦ب١ وقال الكرمانى: أو بيان أنها لا تقبل الإقامة لأن الأصل فى التقويم هو أعلى الضلع لا أسفله، وهو غاية فى الاعوجاج، وقال البيضاوى: أى خُلقن من أصل معوج كالضلع مثلا، فلا يتهيأ الانتفاع بهن إلا بالصبر على اعوجاجهن (البخارى بشرح الكرمانى جـ١٢ ص ٢٢٨) وقال ابن حجر: أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله (فتح البارى: ج ٦ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٣) يُراجع سند هذا الحديث نعد لاحظنا أن فيه أبا كريب المتوفى سنة ٢٤٨هـ، قال أبو حاتم: صدوق، وقال السنائى: لا بأس به، والحدبث معنعن من حسين بن على الكوفى عن زائدة عن ميسرة عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

المرأة قد خُلقت أنثى لها صفاتها الخلقية والعقلية والنفسية الخاصة بأنوثتها، والتى قد يعتبرها البعض شذوذًا فيها أو انحرافًا، إذا حاول مقارنتها بالصفات المميزة للرجولة، فإذا حاول أن يقيم ما يتوهمه فيها من اعوجاج فقدها، وفقد ما يحتاج من عاطفة ورقة· وضعف وغير ذلك من مميزات المرأة الطبيعية، فهى كالضلع الذى وضعه الله على صورة خاصة فى القفص الصدرى، فإذا حاول مرؤ أن يقيم ضلعه أفقده وظيفته، وكان هذا وبألا عليه فقد خلقه الله ملائمًا للقوام الجسمانى وللوظائف الحيوية المنوطة به.

استدراك

إن الله تعالى قال: ﴿**هُوَ الَّذى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [الأعراف: ١٨٩] هوآدم عليه السلام ﴿**وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ أى وخلق منها حواء ﴿**لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ أى ليطمئن إليها ويستأنس بها. وقال ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ [النساء: ١] هذه الجملة الكريمة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعًا من أضلاع آدم وخلق من ذلك الضلع حواء، وقد قال بذلك كثير من العلماء، وهى بعينها عبارة التكوين[1].. وكانت وحدتهما فى الخلق، ووحدتهما فى عمارة الكون سببًا فى حاجة كل منهما للآخر.. فكل منهما يكفل صاحبة ولا غناء لأحدهما عن الآخر بإطلاق.

ومن الجائز أن يكون الله خلقها كما خلق آدم، وأن يكون قوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ أى من جنسها وعلى صورتها، وهو ما سبق أن بيناه، وحينئذ تكون المادة التى أُخذت منها المرأة غير متعرض لها، والله أعلم بالصواب.

---

(١) فأوقع الإله الرب سباتا على آدم فأخذوا واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما (٢٢) وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم (٢٣) فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى تدعى امرأة لأنها من أمرى أخذت - من الإصحاح الثانى - تكوين.

سُكنى آدم وزوجه الجنة

وخروجهما منها بسبب إغواء إبليس لهما

أمر الله آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء يسكن إليها، وأباح لهما كل شيء في الجنة إلا شجرة عُينها لهما، ولكن إبليس وسوس لهما بالأكل منها وإغواهما بأنواع المغريات، وقال لهما: إن ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهية أن تكونا ملكين أو تصبحا من المخلدين فى الجنة، وقال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وحلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يُخدع المؤمن بالله ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١] قال الألوسى: وإنما عبّر بصيغة المفاعلة للمبالغة لأن من يبارى أحدًا فى فعل يجّد فيه ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١] أى خدعهما بما غرهما به من القسم بالله قال ابن عباس: غرّهما باليمين وكان آدم يظن أنه لا يحلف أحد بالله كاذبًا، فغرّهما بوسوسته وقسمه لهما. ولم يزل يفتله فى الذوره والغارب ويمنّيه معسول الأماني، ويرفؤه بالقول اللين، حتى نسى آدم أنه عدوه الذى أبى السجود له، وأن الله حذّره منه أشد الحذر بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾ [طه: ١١٧] فأكل آدم وحواء من الشجرة ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢٠، ١٢١] قال الكلبى: تهافت عنهما لباسهما فأبصر كل منهما عورة صاحبه فاستحيا وأخذا وشرعا يلصقان ورقة على ورقة ليستترا به بعد أن كانت كسوتهما من حلل الجنة.

وقال القرطبى: أى جعلا يقطعان الورق ويلزقاته ليستترا به ومنه خصف النعل[1]، وقال وهب بن منبه: كان لباس آدم وحواء نورًا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوءاتهما[2] وعاتب الله آدم على مخالفته أمره والأكل من الشجرة، روى أنه تعالى قال لآدم:

(١) القرطبى: ٧/ ١٨١.

(٢) الطبرى: ١٢/ ٣٥٥.

ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدًا من خلقك يحلف بك كاذبًا قال: فوعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدًا[1].

فندم آدم وأخذ يعتذر، فأهبط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض وطرد إبليس قائلاً: ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٣٦، ٣٧] وهداه واجتباه وبقى فى الأرض هو وبنوه الذين أتى بهم من حواء فى الأرض. اقرءوا قوله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[2].

وفى سورة الأعراف: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

---

(١) البحر: ٤/ ٢٨١.

(٢) البقرة: ٣٥ ـ ٣٨.

(٣) الأعراف: ١٩ ـ ٢٥.

ذكر نبوة آدم عليه السلام:

روى الشوكانى فى تفسيره ما أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه من طريق أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله: آدم نبيًا كان؟ قال: نعم كان نبيًا ورسولاً، كلمّه الله وقال له: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[1].

وفى رواية ابن أبى شيبة والطبرانى عنه: «قلت يا رسول الله: من أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: نبى؟ قال: نعم، ثم من؟ قال: نوح وبينهما عشرة آباء».

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[2]، وقال تعالى فى سورة طه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)﴾[3].

والاجتباء هو الإصطفاء والإختيار للرسالة. وروى مجاهد[4] عن ابن عباس قال: أنزل عليه إحدى وعشرين[5] صحيفة أملاها عليه جبريل، وكتبها آدم بخطه بالسريانية، وقال وفرض عليه فى اليوم والليلة خمسين ركعة، وحرم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير والبغى والظلم والغدر والكذب والزنا، وذكر أبو جعفر الطبرى[6] أن أول ما نزل عليه حروف المعجم فى إحدى وعشرين ورقة، وهو أول كتاب فى الدنيا.

أين توجد الجنة التى سكنها آدم وزوجه؟

اختلف العلماء فى الجنة التى أمر الله آدم وحواء أن يسكناها . . هل هى دار الثواب؟ أم هى بستان فى الدنيا؟ فذهب الجمهور إلى أنها دار الثواب، وشاهدهم

---

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) قارن بالكسائى: ٦٩.

(٥) فى الكسائى من حديث كعب: اثنتين وعشرين صحيفة.

(٦) تاريخ الطبرى: ١/ ١٥٢.

على ذلك اقترانها بأداة التعريف (ال) وهى إذا اقترنت بها فقيل (الجنة) انصرفت إلى المعهودة فى لسان الشرع، وهى دار الثواب والخلود. وإذا تتبعنا قصة آدم فى جميع آى الذكر الحكيم لوجدنا الجنة التى سكنها آدم مقترنة بأداة التعريف، فتكون (دار الثواب) وفقا لعرف القرآن. أما جنة الدنيا فتُذكر دائما منكره، أى بدون (أل)، ومثال ذلك قوله تعالى ﴿**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**﴾[1]، وقوله تعالى ﴿**جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ**﴾[2].

وذهب أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصفانى وبعض المتصوفة والمعتزله وغيرهم إلى أن هذه الجنة كانت فى الأرض (بستان)، ولكونها حديقة معينة فى الدنيا اقتربت (بآل) للإشارة إليها، وقد جاء فى القرآن الكريم اقتران احدى جنات الدنيا (بال) لكونها معيّنه، وذلك فى قوله تعالى فى سورة القلم ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾**﴾[3]. فقد كانت هذه الجنة بأرض «صوران» لرجل كريم كثير الإحسان منها على المساكين، فلما مات شحّ أولاده عليهم، وتعاهدوا على حرمانهم، فعاقبهم بالله بالحرمان من ثمرها. قال تعالى ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾**﴾[4].

واستدل أصحاب الرأى الثانى بأدلة عديدة نذكرها فيمايلى:

١- أن خَلقْ آدم كان فى الأرض ومن ترابها بالإجماع ولم يذكر فى قصته أنه رُفع إلى السماء حيث جنة الجزاء ولو وقع لذكره لأنه أحسن النعم عليه فيكون أولى بالذكر من سواه.

---

(١) البقرة: ٢٦٥.

(٢) الكهف: ٣٢.

(٣) القلم: ١٧، ١٨.

(٤) القلم: ١٩، ٢٠ فطاف عليهم: أحاط بها نازلا عليها. (طائف): بلاء (نار محرقة)، (كالصريم): كالليل الأسود (محترقة سوداء كالليل).

٢ـ أن إبليس وسوس لآدم وأغواه، فإذا كان آدم فى دار الخلد والثواب وقت وسوسة الشيطان له، فكيف وصل إليه فيها وهى فى السماء، وكما نعلم فقد أهبط أبليس منها، ومُنع من دخولها وجُعل مذموما مدحوراً.

٣ـ أنها لو كانت دار الخلد والثواب لما حدث فيها من ابليس ما حدث، من اللغو والكذب، وحمل آدم على الإثم، ماحكاه عنه فى القرآن ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ** ﴿١٢٠﴾ ﴾[1]، ولما قال ﴿ **نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾[2]، ولما سمع فيها آدم شيئا من ذلك لقوله تعالى ﴿ **يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ** ﴿٢٣﴾ ﴾[3] وقوله ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا** ﴿٣٥﴾ ﴾[4] وقوله ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا** ﴿٢٥﴾ **إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا** ﴿٢٦﴾ ﴾[5].

٤ـ أنها لو كانت دار الخُلْد والثواب لما كُلِّف فيها آدم بعدم الأكل من الشجرة، لأنها ليست دار تكليف ولكنها دار جزاء.

٥ـ أن آدم قد عصى فى تلك الجنة فوجب أن تكون بستانا فى الدنيا، ولاتكون دار الخُلْد والثواب، لأن دار الخُلْد والثواب لايُعصى الله فيها، فهى دار جزاء للصالحين، ودار حمد وشكر وبهجة.

٦ـ أن دار الخُلْد والثواب لايدخلهما كافر بالنص والإجماع، وحيث أن إبليس قد دَخلها لاغواء آدم وابليس كافر حينئذ، فلذا يجب أن تكون بستانا فى الدنيا، ولاتكون دار الخُلْد والثواب.

---

(١) طه: ١٢٠.
(٢) الأعراف: ٢٠.
(٣) الطور: ٢٣.
(٤) النبأ: ٣٥.
(٥) الواقعة: ٢٥، ٢٦.

٧ـ لو كانت كذلك لما أخْرِج منها آدم وحواء، لقوله تعالى ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[١]، ولما انقطع منها، لكنه انقطع بخروجهما فدلّ ذلك على أنها لم تكن جنو الخُلْد ودار الثواب.

ولايجوز فى حكمته تعالى أن يبتدئ الخلق حياتهم فى جنة يخلّدون فيها دون تكليف.

٨ـ ورد فى سفر التكوين الإصحاح الثانى مايفيد أن جنة آدم كانت فى الأرض.

ومما يرجّح أنها كانت بستانا فى الدنيا، أن الله، قبل أن يخلق آدم قال للملائكته ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] وهذا يقتضى أن يخلقه الله ويُسكنه فى مكان خلافته، وأن ينشأ ويعيش فيها، أما أن يسكنه فى جنة الخُلْد والثواب بعيداً عن خلافته، فليست له حكمة ظاهرة. كما أن افتراض كونها جنة الخُلْد والثواب يقتضى أن الله عاقبه بالإهباط منها إلى أرض الضياع بارتكابه زلّة صغيرة، كما عاقب إبليس علر كفره بإهباطه منها، فسوّى بينه وبين إبليس فى العقاب، مع اختلاف وتباين الذنب الحادث من كلٍ منهما فلهذا وجب أن تكون الجنو التى سكنها آدم وعصى الله فيها هى بستان فى أرض خلافته.

وقد ذهب بعض أصحاب هذا الرأى إلى تعيين مكانها فمنهم من قال: أنها كانت بالشام، ومنهم من قال: كانت بين فارس وكرمان.

ثم قال الرازى فى ختام كلامه فى هذا المقام، ووافقه الأولوسى «الكل ممكن، والأدلة النقليه ضعيفة ومتعارضة فوجب التوقف وترك القطع، أى مادامت الأدلة متعارضة، فالأحوط والأسلم الكف عن تعيينها وعن القطع به، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الحجر: ٤٨.

(٢) البقرة: ٣٠.

فإن قيل فقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ** ﴿١١٨﴾ ﴾[1] وقد جاع وعرى، فالجواب: أنه ماجاع وعرى فى الجنة، وإنما كان ذلك فى الدنيا، والظمأ هو العطش، ولاتضحى أى تبرز للشمس، والجنة ليس فيها شمس فيؤذيه حرها. فإن قيل فهما إثنان، فهلا قال: ألاتجوعا، قلنا: غلب المذكر على المؤنث، لأن نعت آدم كان أكثر، وكذا قوله فتشقى؛ كان عليه أن يقول فتشقيا.

فإن قيل فما معنى قوله: ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** ﴾[2] قلنا معناه أخطأ وضل ولم ينل مراده لأنه خالف، والعصيان خلاف الطاعة ﴿ **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** ﴿١٢٢﴾ ﴾[3] أى هداه للتوبة، وفَّقه لها.

فإن قيل: فهل يجوز إخراج الضيف من دار المضيف؟ فالجواب من وجوه أحدها نعم، إذا ترك الأدب وطمع فيما لايجوزله، والثانى: لأنه كان فى صُلبه الأنبياء والعلماء والأولياء، والجنة ليست بدار توالد والثالث: لولا نزوله ماتصاعدت صعداء الأنفاس ولانزلت رسائل هل من سائل؟.

خطيئة آدم: نسيان أم معصية؟!

بينما نجد القرآن الكريم يصف مخالفة آدم تارة بأنها نسيان ﴿ **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾[4] نجده تارة أخرى يصفها بأنها عصيان وغواية ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** ﴾[5] فكيف نوفق بينهما؟

إن النسيان يقتضى أن أكله من الشجرة من باب الغفلة عما كلفه الله به دون أن يتعمد المخالفة، أو يتأثر بوسوسة إبليس، فهو سهو لا مدخل فيه لعمل الشيطان، فى حين أن قوله تعالى: ﴿ **فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ** ﴾[6] يقتضى أن هذا الأكل

---

(١) طه: ١١٨.
(٢) طه: ١٢١.
(٣) طه: ١٢٢.
(٤) طه: ١١٥.
(٥) طه: ١٢١.
(٦) الأعراف: ٢٢.

ليس نسياناً تقياً بل هو معتمد وناشيء عن إغواء الشيطان، وإذا كان الأمر كذلك فكيف ساغ لنبى كريم أن يتأثر بوسوسته ويخالف أمر ربه عمداً؟

وللجواب عن ذلك. . نقول أن مافعله آدم كان عن نسيان كما دل عليه القرآن صراحة، فى قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وليس استجابة متعمدة لوسوسة الشيطان.

نتبين ذلك جلياً من جميع النصوص الواردة فى تحريم الشجرة، فكلها تشير إلى شجرة معينة بذاتها، ففى سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[1]، وفى سورة الأعراف أيضاً فى الآية ١٩ مثل ذلك النص.

ولايوجد نص فى كتاب الله يُفهم منه صراحة أن التحريم عام لجنس هذه الشجرة وليس خاص بها وحدها، ومع هذا بقى آدم وزوجه حواء ممتنعين عن تناول ثمر النوع كله مدة طويلة برغم وسوسة ابليس لهما، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ والنسيان لايكون إلا بعد مدة طويلة من التكليف والعمل به، والمراد به أنه نسى التحذير من خطورة الشيطان وعدوانه بنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[2] فخدع آدم بتغريره وتزيينه الأكل منها حتى يحظى بالخلود والمُلك الذى لا يبلى بنحو قوله تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[3] وأقسم أنه ناصح لهما ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[4] ولم يزل يخدعهما ويغرهما حتى أنزلهما

---

(١) البقرة : ٣٥، والأعراف : ١٩

(٢) طه : ١١٧

(٣) الأعراف: ٢٠.

(٤) الأعراف: ٢١.

عن الاستمساك بما أباح الله لهما ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[1] إلى تجاوزه بالأكل من الشجرة المحرمة، فقد نفث فى روعهما قائلاً: أن الله حرم عليكما شجرة بعينها مشيراً إليها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فما بالكما تمتنعان عن النوع كله، فإنه لم يتناوله التحريم؟ وتكرر ذلك التزيين فى أساليب شتى مدة طويلة حتى شوقه إلى معرفة أسرارها، والحصول على مزاياها، فأفتى نفسه بأن تحريم الشجرة المعينة لايمنع من أكل سواها من نوعها، فأكل من سواها، ظانا أن ماحدث اجتهاد نفسى وأن الشيطان بعيد عنه فيه، مع أنه كان فى الحقيقة بإغرائه ووسوسته لأنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم. وهو بهذا التأويل الضعيف الناشىء عن وسوسة الشيطان، قد فقد العزم والتصميم على ترك الشجرة بذاتها ونوعها، وتحول إلى تخصيص الترك بذاتها دون جنسها، وفقد العزم فى الحذر من الشيطان، ولو أنه وجد منه عزم وتصميم على ماكان عليه من معاصاة الشيطان، لماحدث منه ما حدث، إذ لافرق بين الشجرة ونوعها عند التأمل.

وقيل معنى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ لم نجد له تصميماً على الذنب، فإنه أخطأ فى الإستدلال ولم يتعمد مخالفة النهى.

وأما قوله ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ فالعصيان فيه محمول على ارتكاب خلاف الأولى بمثله، والأحوط فى الإمتثال، فإن الأولى به والأحوط له أن يفهم عموم التحريم لنوع الشجرة، لاخصوصيته بالمشار إليه، فجُعلت مخالفته للأولى عصياناً بالنسبة لمقامه الكريم، فإن الأمر قد يكون حسنة لشخص سيئة لشخص آخر فالصدقة بدرهم علي محتاج تعتبر حسنة إن كانت من رقيق الحال، وتعتبر سيئة من رجل واسع الثراء.

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن عبد الله المغربى قال: تفكر إبراهيم فى شأن آدم عليه السلام، فقال: يارب خلقته بيدك، ونفخت فيه من

---

(١) الأعراف : ٢٢

روحك، وأسجدت له ملائكتك، ثم بذنب واحد ملأت أفواه الناس من ذكر معصيته، فأوحى الله تعالى إليه: ياإبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديدة وذكر بعض العلماء أن فى استعظام ذلك منه زجراً بليغاً لأولاده عن أمثاله.

** قد يُقال: إن آدم قد علم عداوة الشيطان له، بإمتناعه عن السجود له، وادعائه أنه أفضل منه، لأنه خُلق من نار وآدم خُلق من طين، والنار فى نظره أفضل من الطين، فلايسجد الفاضل للمفضول، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يُعقل أن الشيطان استطاع خداعه مع أنه يعلم بعدواته؟

والجواب: إن خديعته لآدم كانت عن طريق الوسوسة النفسية، فإن آدم لم يشعر أنها من جهة إبليس، بل ظن أنها حديث نفسى وإجتهاد فكرى، وإن كانت خديعته مشافهة ومواجهة فإنها ليست بمستحيلة فكم من عدو يبدو لك فى ثياب صديق ويعتذر لك آسفاً على مافرط منه فى حقك، وتحت ضلوعه الداء الدوى، وقلبه ملىء بالحقد والكراهية، والمؤمن غر كريم، والمنافق خب لئيم.

عِصْمة الأنبياء من المعاصى:

اختلفت الآراء فى حدود عصمة الرسل من الذنوب، ومتى يجب اتصافهم بها؟ فقال الجمهور: إنهم معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها بعد النبوة، لأنا أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة، فلو جوّزنا عليهم الصغائر لم يمكن الإقتداء بهم لعدم إمكان التمييز بين ماهو قربة وما هو ذنب من أفعالهم وأقوالهم، ولايصح أن يأخذ الله الناس بالأخذ عنهم، وهم لايدرون على التحقيق أن ما يأخذونه عنهم من قبيل الطاعة وليس من قبيل المعصية.

وكما تجب عصمتهم من جميع الذنوب بعد النبوة تجب قبلها فإن مقتضى اختيار الله لعبد من عباده ليكون نبياً أن ينشئه الله على أكرم الخلال وأفضل الأقوال والأفعال، حتى إذا شرّفه بالنبوة ودعا الناس إلى ربهم، اطمأنوا إليه، واستأنسوا بصلاح ماضيه، على صدقه فى حاضره فآمنوا به، أما المنحرف فى

نشأته عن سواء السبيل فما إلى تكذيبهم له والكفر به من بديل فكيف يبعث الله لعباده نبياً سيء السلوك مرفوضاً منهم، أرأيت إلى الحكومات حين توظف أحد رعاياها فى عمل صغر أم كبر، فإنها تشترط فى تعيينه أن يكون حسن السير والسلوك، فكيف لايكون ذلك شأن ملك الملوك فى اختيار سفراءه ورسله لعباده؟

وقال بعض المعتزله: يجوز أن تحدث منهم الصغائر قبل النبوة لابعدها.

وقال بعض الفقهاء: يجوز أن تقع منهم الصغائر بعد النبوة وقبلها، أما الكبائر فلا بالإجماع. والأكثرون يرفضون وقوع الصغائر منهم بعد النبوة. وقال أبو اسحاق الاسفراييني: واختلفوا في الصغائر، والذى عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم وصار بعضهم إلى تجويزها ولاأصل لهذه المقالة: أى لادليل على صحتها يريد أن تجويز بعضهم للصغائر باطل.

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى تجويز وقوع الذنب منهم: الذى ينبغى أن يقال «أن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم وأشفقوا منها وتابوا عنها، وكل ذلك ورد فى مواضع كثيرة، يقبل بعضها التأويل، ولايقبله بعضها الآخر وكل ذلك بما لايزرى بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التى وقعت منهم على جهة الندور. وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك، فهى بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفى حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلوّ أقدارهم، إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السايس، فأشفقوا من ذلك فى موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة ـ قال ـ وهذا هو الحق».

ومن ذلك قوله تعالى فى حق نبينا محمد ﷺ: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾[1] فالذنب فيه محمول على مخالفة الأولى والأحوط بالنسبة له، كأخذه الفداء فى أسارى بدر بدلاً من قتلهم، فهذا ليس معصية قطعاً بل هو حسنة، حيث أن عدداً كبيراً منهم أسلم بعد ذلك، ولكنه يعتبر خلاف الأولى،

---

(١) الفتح : ٢

لأن هذه أول معركة ينتصر فيها الإسلام على الشرك والمشركين، فكان الأولى قتل أسراهم الذين أذلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم، فضلاً عن أنه أظهر فى إبراز قوة المسلمين من أخذ الفداء من أولئك الأسرى، وأدعى لراحة المسلمين من مؤامراتهم، وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾[1].

ولايصح حمل الذنب فى الرسول على المعصية والإثم فإنه لم يرد عنه ﷺ أنه ارتكب مايخالف شرع الله تعالى فى شأن من شئونه، فقد كان أتقى الناس وأعلمهم بالله، فضلاً عن أن النبى يُشترط فيه العصمة من المآثم حتى يكون قدوة لأمته، ويوثق بصدقه.

ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهم صلوات الله وسلامه عليهم وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم، فلم يخل ذلك بمناصبهم، ولاقدح فى رتبهم بل قد تلاقاهم وإجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم وإختارهم وإصطفاهم[2] ومعنى تلافاهم: تداركهم بالعفو فزال به تقصيرهم.

والناظر فى هذا الكلام بإمعان يجد أنه لافرق بينه وبين القول الأول الذى عليه الأكثرون، وهو تنزيههم عن المعاصى.

فإنه ذكر أن ذنوبهم التى عوقبوا بشأنها وأشفقوا منها كانت سيئات بالنسبة إليهم لرفعة مناصبهم، لكنها حسنات فى حد ذاتها بالنسبة لمن هم دونهم، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. وقد كانت مخالفاتهم نادرة، وكانت إما من باب الخطأ أو النسيان أو حسن التأويل وأثر الإجتهاد.. وعلى هذا فذنب آدم يعتبر من هذا الطراز.. وإذا كان الله تعالى يعيب على المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)﴾[3].

---

(١) الأنفال: ٦٧.

(٢) القرطبى: جـ١ ص٣٠٩

(٣) الصف: ٢، ٣.

فكيف يعتقد أحد أن الرسول يخالف فعله قوله الذى يبلغه عن ربه؟

وصرح القاضى أبوبكر بن العربى: بعدم جواز نسبة العصيان للآباء الأقربين إلينا، المماثلين لنا، فكيف يجوز أن يُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام؟[1].

فإنه يجب تنزيه الرسل وكل الأنبياء عن المعاصى لأنهم صفوة الله من خلقه، والأسوة الحسنة لهم في تنفيذ مايأمر الله به أو نهى عنه.

ماهية الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها:

اختلفوا فى ذلك على أقوال[2]:

أحدها أنها شجرة البُر وهى الحنطة، قاله ابن عباس.. والثانى: شجرة الكافور، قاله على رضى الله عنه والثالث: الكُرمة، قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد، وحكاه ابن سعد عن جعدة بن هبيرة، قال: ولذلك جُعلت فتنة لولده، والرابع: التين، قاله عطاء والحسن وابن جريج، والخامس: النخلة، قاله أبو مالك: والسادس: حيّ العالم.. وقيل إنما هى بكسر العين وفتح اللام - وهى الحنطة بلغة قيس، وهوالأصح، لأن الحنطة ملائمة لجميع بنى آدم. وقد نصّ على أنها الحنطة عامة العلماء. وقال وهب: هى شجرة الخلد وهو وهم لأن الله سماها بذلك وإنما الكلام فى جنسها.

وقال الربيع بن أنس إنها كانت شجرة من أكل منها أحدث ولاينبغى أن يكون فى الجنة حدث والأولى عدم تعيينها حيث أن الله تعالى لم يعينها وكذا الرسول ﷺ.

وقد ذكرها الله فى التوارة فقال[3]: ونصب الله تعالى شجرة علم الخير والشر. أو شجرة الحياة، وسط الجنة، وقال: يا آدم كُل ماشئت إلا منها، فإنك تموت يوم تأكل منها. وقال الحسن البصرى: لم يكن له بد أن يأكل منها لأنه خُلق للمقام فى الأرض.

---

(١) راجع الألوسى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ سورة طه.

(٢) الصحاح: ١ / ٣٢٠.

(٣) سفر التكوين: ٢/ ١٥-١٧.

فإن قيل: بماذا عاقب الله آدم وحواء؟ قلنا: عاقب آدم بأشياء منها العتاب ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾[1] والثانية: بإبداء السوءة ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[2] والثالثة بإخراجهما من جواره ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[3]، والرابعة بإظهاره العداوة له ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[4]، والخامسة: بإلزامه اسم العصيان ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[5]. والسادسة: بتسليط الشيطان على أولاده ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[6]، والسابعة: بالهموم والأحزان، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤] أى فى هم ونصب، والثامنة: بما لقى من المشقات، والتاسعة: بطول بكائه، والعاشرة: بحزنه على ولده هابيل.. وكذا عاقب المولى جلّ وعز حواء بخصال: أولها الحيض، فإنها لما تناولت من الشجرة قيل لها: تدمين فى كل شهر، وبالنفاس والطلق والولادة، وترك الصلاة ونقصان العقل والميراث والشهادة والعدة والمنع عن الخروج، والبروز، وكونها عورة، ونقصان الدية، ولأنها لاتكون حاكماً بين الناس، ولا تسافر إلا بولى، ولاتنعقد بها الجمعة والجماعات وغيرها...

الحكمة فى إبهام هذه الشجرة وتحريمها:

قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾[7].

وكان هذا أول بيان لمنهج الله وهو الإختبار الأول لإرادة الإختيار التى أعطاها لآدم. فقد أباح لآدم نعماً كثيرة وسمح له أن يأكل من حيث شاء، ولكنه حرّم عليه شجرة واحدة ولم يذكر الحق نوع هذه الشجرة ولو كان فى ذلك تشريع أو

(١) الأعراف: ٢٢

(٢) طه: ١٢٢

(٣، ٤) البقرة: ٣٦.

(٥) طه: ١٢١.

(٦) الإسراء: ٦٤.

(٧) الأعراف: ١٩

فائدة تُجنى فى ذكر اسم هذه الشجرة ونوعها لذكره الله، كانت شجرة إختبار إرادة الإنسان فى افعل أو لاتفعل. وحتى لايتجه الناس إلى إلتماس حكمة تناسب نوعها، بل يتجهون إلى فهم أن الله تعالى أراد إختبار مقدرة آدم وحواء على احتمال المنع من بعض المشتهيات، وتمرينهما على الصبر وضبط النفس، فإن أحبَّ شيء إلى النفس ما منعت عنه بمقتضى جبلتها، وأن تحسين الشيطان لهذا الممنوع، يُغرى النفس به أكثر، فلهذا كان ذلك التحريم المفضى إلى المخالفة، ليفتح الله بها باب التوبة والتطهر من الإثم والعودة إلى النقاء النفسى ومرضاة الله، حتى تستقيم أمور بنى الإنسان بالمتاب كلما أخطأوا.

ويمكنك أن تعتبر النهى عن الأكل من الشجرة وماترتب عليه إجراءً تدريبياً لممارسة الطبيعة البشرية حياتها على سجيتها، ولتعرف ضوابط إصلاحها وصلاحها، فكل ذلك داخل تحت مشيئة الله تعالى وإرادته، ليتعرف البشر أسلوب حياتهم ومماينبغى لهم أن يتركوه، وماينبغى لهم أن يفعلوه، إمتثالاً لتشريعات الله الذى يعرف ما فيه مصلحة عباده.

كما أن مزايا هذا الإمتحان: أن يعلم آدم وتعلم ذريته أن الله رحيم بعباده حيث يقبل توبتهم ويعفو عن سيئاتهم، فإنهم لم يُخلقوا بغرائز تدفع إلى الكمال وحده بل هى سلاح ذو حدين، تُستخدم فى الخير كما تُستخدم فى الشر، وقد أنعم الله عليهم بالعقل الذى هو النور الهادى إلى المراشد، وجعله مهيمناً على تلك الغرائز، فمن استضاء به عند استخدام غرائزه اهتدى ورشد، ومن أهمله ضل وغوى.

ولايترك الله عباده فى ضلالتهم إذا ضلوا، بل يفتح لهم باب اليقظة والتأمل، تارة بإرسال الرسل، وأخرى بصحوة العقل ونشاطه ليثوبوا إلى رشدهم، ويُصلحوا من حال أنفسهم.

تلك هى الحياة الدنيا، وذلك هو التكوين الإنسانى الذى يصلح لها، وقد أخبرنا الله على ألسنة رسله، أنه أعد داراً للجزاء يلقى فيها كل إمرىء جزاء ماعمله فى دار الإمتحان (الدنيا) ليحملهم التفكير فيها على إحسان العمل ونيل الثواب.

ثم ماذا حدث بعد أن أكل آدم وزوجته من الشجرة المحّرمة؟ إن الحق يشرح حقيقة ماحدث فيقول فى محكم تنزيله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[1] فما أن أكلا من الشجرة المحرمة حتى بانت وظهرت سوءاتهما، ثم أخذا يبحثان عن أوراق شجر الجنة كى يسترا به مابدا منهما وماأظهرته خطيئتهما. لقد انكشف عنهما ستار الإيمان والطاعة والذى كان يستر كل عورة وكل خطيئة لكن الشيطان دائماً يحاول ويهدف لتمزيق سياج الإيمان الذى يحمى الإنسان ويحفظ عوراته من الظهور. إنه درس عظيم لبنى البشر يجب أن يذكرهم دائماً أن كل أفعال الشيطان هى كشف لعورات الجسد البشرى، وتعرية لسوءات النفس وهواها، وجل هم الشيطان وهدفه كشف الإنسان وتعريته من كل ستر إيمانى يقى الإنسان ويحميه ضد وساوس الشيطان.

والشيطان لايقعد عن نبش حصون النفس الإيمانية يريد أن يزلزل من تحتها الأركان كى تنهار وتتداعى وتهوى مع كل معصية يقع فيها الإنسان وقانا الله شره.

---

(١) الأعراف: ٢٢.

المبحث الثانى

أول دعاء بشرى

كلمات لآدم:

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1] قال ابن عباس: معنى تلقى تلقن وحفظ وفهم.. فتلقين الله آدم التوبة رحمة عظمى أسداها لأبى البشر عليه السلام.

وقصة آدم هى قصة البشرية فى كل آن ومكان.. من الوجود إلى النهاية.. من الأزل والقدم إلي الفناء والعدم.. هى معصية وندم.. زلل واستغفار.. خطأ وتوبة!!

وكما مرّ بنا.. أمر إلهى لآدم وزوجه بأن يسكنا الجنة، ويتمتعا بمافيها.

ومعه نهى إلهى لهما عن الإقتراب من شجرة معينة فيها..

وجمحت النفس البشرية فانحرفت.. وعصت تعاليم المولى فى لحظة من لحظات الضعف البشرى التى ناصرها الشيطان وأججها وقواها..

فكانت المعصية بالإقتراب من الشجرة وإقتراف الذنب فأخرجهما الله مما كانا فيه.. من نعيم حسى ومعنوى.. إلى نعيم أرضى هابط.. وهبطت منزلتهما بالعصيان والغواية..

عصى آدم ربه فغوى.. ثم إجتباه فتاب عليه وهدى.. تلقى آدم من ربه كلمات.. فتاب عليه.. وغفر له.. وهداه إلى الرسالة.

كلمات هى دعوات ألهمه الله إياها فأناب إليه بها وهى كما قال مجاهد وقتادة والثعلبى وعبد بن حميد، وابن أبى حاتم وابن المنذر وابن جرير والبيهقى والحسن والضحاك ومحمد بن كعب القرظى.. وقد رفع الكثير من هؤلاء الخبر

(١) البقرة: ٣٧.

إلى ابن عباس بأنه القائل بأن هذه الكلمات هى كما فى سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

تاب آدم بذلك وأناب إلى ربه فتاب عليه.

كلمات أهلته للصفو، والصفح، والعفو، والعودة إلى رحاب الله.

دعوات هى لون من ألوان الإعداد والتأهيل وشحذ الطاقة لتخلص وتتقبل وحى الله.

ولتجلو لاستقبال أوامر الله، والتقاط إلهاماته.

كلمات هى ذكر يزيل ماران على الوجدان، ويذيب الغشاوات التى تعلو صفحة الفؤاد، ويجتث من القلب شرايين الغلظة والجفوة والقسوة فإذا هو معدٌّ لتقبل الإيحاءات.

أدعية هى أوعية الغفران.

أدعية وكلمات كما أمدت روح أب البشر آدم بإشراقات وإشعاعات للتوبة، أعدته لتلقى الرسالة وتحمل أعبائها.

ما اشتمل عليه دعاء آدم وحواء:

ونأتى إلى تفصيل ماأجملناه، فنستعرض سوياً مااشتمل عليه دعاء آدم وحواء ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الآية.

اشتمل هذا الدعاء على أربعة أمور هى:

١- الإعتراف بالذنب:

لقد اعترف آدم وحواء بالذنب لأكلهما من الشجرة التى نُهيا عن الأكل منها، وأدركا أن فعل مانهى الله عنه ذنب ينبغى الإقلاع عنه، والرجوع إلي الله..

(١) الأعراف: ٢٣.

ولقد حمل نداء الله لهما من التقريع والتوبيخ مافيه، ولعله سبق تمهيداً وتعليلاً لنيل جزائهما بالإخراج من الجنة.

هذا العتاب الإلهى القرآنى يعضّده التأنيب الإلهى الأثرى الوارد عن ابن عباس وغيره فقد قال ابن جرير فيما يرويه عنه: لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتنى!

قال فإنى أعقبتها أن لاتحمل إلا كرهاً، ولا تضع إلا كَرْهاً.. قال فرنت عن ذلك حواء فقيل لها الرنة[1] عليك وعلى ولدك..

وروى قتادة عن الحسن عن أُبى بن كعب رضى الله عنه قال: كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك،وكان لايراها، فانطلق هارباً فى الجنة فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها أرسلينى فقالت: إنى غير مرسلتك، فناداه ربه عز وجل ياآدم! أمنى تفر؟ قل: يارب إنى إستحييتك.

وفى رواية عن ابن عباس:قال الله: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك، قال: بلى ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً، وهو قول الله عز وجل: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ قال الله: فبعزتى لأهبطنك إلى الأرض ثم لاتنال العيش إلا كداً. قال فأهبط من الجنة وكانا يأكلان منها رغداً، فأهبط إلى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعه الحديد، وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتي بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ ماشاء الله أن يبلغ.

فقول آدم وحواء ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا**﴾ فضلاً عن كونه اعترافاً بالذنب فهو من أدب النبوة حيث لم يقولا: لقد قدّرت ذلك علينا ربنا وقضيته فلماذا تؤاخذنا

---

(١) الرنه: الصرخة.

عليه وتطردنا من الجنة؟ . . لم يقولا ذلك لإستشعارهما بالنعم التى أفاض الله بها عليهما حيث خلقهما وأسجد لهما الملائكة، وطرد ابليس ولعنه لإمتناعه عن السجود لآدم، ثم أسكنهما الجنة وقال لهما كلا منها أكلاً رغداً هنيئاً من كل أشجارها، غير أنكما لاتقربا هذه الشجرة وعينها لهما. . فكل هذه النعم استحضرها آدم وزوجه حواء حينما أكلا من الشجرة التى نُهيا عن الأكل منها. . فعظم فى أعينهما هذا الفعل وعدم استجابتهما لنهى الله تعالى لذلك كله سارعا إلى الإعــتراف بالذنب، واعــتبرا ذلك مجاوزة منهما للحد الذى عيّنه الله لهما، ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا**﴾ دون أن نُظلم، وأتيا بلفظ الربوبية الدل على الخلق والإنعام والتربية والإحسان إستعطافاً لما يرجوان تحقيقه من طلب المغفرة والرحمة، والإعتراف بالذنب كما يقولون فضيلة.

٢- طلب المغفرة:

طلب آدم وحواء ستر وتغطية ماارتكباه من ذنب وهذا أمر واجب علي المسلم فوراً إذا وقع فى شيء يغضب الله تعالى. . وطلبهم المغفرة هذا ساقوه علي صورة الجزم والتحقيق وهذا مايفيده الشرط حيث قالوا: ﴿**وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[1] فعلقوا نجاتهم وتجنيبهم الخسران على المغفرة فإن كانت نجوا، وإلا هلكوا وخسروا، وهذا أبلغ من طلبهم المغفرة صراحة أى من غير شرط. .

٣- طلب الرحمة:

فبعد أن طلبوا التخلية من المسئولية والمؤاخذة والعقاب طلبوا التحلية وهى الرحمة التى هى شمول الله العبد بفيوضات العطف والشفقة والحنان إذ الرحمة جامعة لكل مايجلب للمرء من الخير والسعادة والرفاهية.

٤- تجنب الخسران والهلاك:

ومن حُسن أدبهما وعظيم حيائهما أنهما ما قالا: «اغفر لنا ذلتنا وامنحنا رحمتك» ولكنهما ساقا ذلك فى أسلوب الشرط المتضمن للفعل والجزاء، ولم

(١) الأعراف: ٢٣.

يجرباه على الصورة المعتادة وهى اغفر لنا وارحمنا لنكونا من الناجين الفائزين، بل أتيا به فى صورة تفيد الجزم واليقين كما تفيد رغبتهم الصادقة فى شمول المغفرة والرحمة الإلهية لهما على وجه السرعة والتأكيد حيث قصروا نجاتهم وفوزهم على مغفرة الله لهم، ورحمته بهم، وفى هذا التعبير مافيه من البلاغة والحياء وحُسن الأداء مافيه، كما أننا نلاحظ أن هذا الترتيب مع إنتقاء الألفاظ قد جاء فى أقوى أسلوب وأدق تنظيم، وأجمل عرض حيث اختار آدم لفظ «الظلم»، و «المغفرة»، و «الرحمة»، والخسران، ورتبهما ترتيباً بديعاً فقدم ماحقه التقديم وهو الإعتراف بالذنب واعتبره ظلماً قد جاوز به الحد وذلك هضماً لنفسه، واستعظاماً لما بدر منه، ثم ثنى بطلب المغفرة إذ الذنب المعترف به فى حاجة ماسة ملحّة إلى تغطيته وستره ومحوه ثم تلى ذلك بطلب الرحمة طمعاً فيما عند الله حيث وسعت رحمته كل شىء، وحذف مفعولها لتعم وتشمل، ثم ساق هذين الطلبين «المغفرة والرحمة» فى صورة الشرط والجزاء، وجعل الخسران والهلاك لاحق به وبزوجه إذا لم يستجب لهما ربهما طلبيهما هذين «المغفرة والرحمة» فقالا: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].. وجعل جواب الشرط مؤكداً باللام والنون مما يفيد ثبوت الخسران لهما إن لم يدركهما ربهما بعظيم مغفرته وواسع رحمته، وأى خسران أعظم من خسران ناتج من ذنب لم يغفره الله ولم يشمل صاحبه بالرحمة.

وقبل الإنتهاء من هذا الدعاء الأبوى الرحيم لنا أن نتساءل:

هل ثبت لسيدنا آدم أدعية أخرى غير هذا الدعاء؟

- لم يرد فى القرآن الكريم دعاء لآدم وحواء سوى ماأوردناه فى سورة الأعراف

- أما فى غير القرآن الكريم فقد وردت عدة أدعية لآدم عن طريق الأثر.. نذكرها بسندها.

(١) الأعراف: ٢٣.

جاء فى تفسير الرازى عن الكلمات التى قالها آدم:

قال سعيد بن جبير فيما يرويه عن ابن عباس رضى الله عنهم أنها قوله: لاإله إلاأنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً أوظلمت نفسى فاغفرلى إنك خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسى فارحمنى إنك خير الراحمين، لاإله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى،فتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم.

- وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها:

لما أراد الله تعالى أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعاً، والبيت يومئذ ربوة حمراء، فصلى ركعتين واستقبل البيت، وتوجه إلى الله بالدعاء فقال: «اللهم إنك تعلم سرّى وعلانيتى فاقبل معذرتى،وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى، وتعلم مافى نفسى فاغفر ذنوبى. اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى،ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لايصيبنى إلا ماكتبت لى، وأرض بماقسمت لى» فأوحى الله تعالى إلى آدم: ياآدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتينى أحد من ذريتك فيدعونى بهذا الدعاء الذى دعوتنى به إلا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه، ونزعت الفقر من بين عينيه،وجاءته الدنيا وهو لايريدها.

- وقال النخعى آتيت ابن عباس فقلت له:

ما الكلمات التى تلقاها آدم عن ربه؟ قال: علّم الله آدم وحواء أمر الحج فحجا، وهى الكلمات التى تُقال فى الحج، فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى إليهما أنى قبلت توبتكما. (الرازى)

- وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن وهب بن منبه قال:

أقام آدم على حاله زماناً فاطلع الله عليه فرآه حزيناً كئيباً،فأوحى إليه: ماالذى بك؟ فقال: إلهى عظُمت مصيبتى،وأحاطت بى خطيئتى،وأخرجت من ملكوت السماء، فأصبحت فى دار الهوان بعد الكرامة،والشقاء بعد السعادة، والنصب

بعد الخفض والدعة، والظعن بعد القرار والطمأنينة، ودار الذل بعد العسر.. فقال الله: ألم أصطنعك لنفسى وأُحلك دار كرامتى، وأُسجد لك ملائكتى ونفخت فيك من روحى، فعصيت أمرى، وضيعت عهدى، وخالفت وصيتى، ولم تشكر نعمتى.. وعزتى وجلالى لوملأت الأرض رجالا مثلك يسبحون الليل والنهار لايفترون ثم عصونى لأنزلتهم منازل العاصين.. وإنى قد رحمت ضعفك وتضرعك، وأقلتك عثرتك، وقبلت توبتك، فغفرت لك زلتك.. فألهمه الله أن قال: سبحانك إنى كنت من الظالمين. قال وهب: فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

- وقال الحسن[2] رضى الله عنه أن آدم قال: يارب ألم تخلقنى بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ فى من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكنى جنتك؟ قال، بلى، قال: فلم أخرجتنى منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال: يارب أرأيت إن تبت ورجعت أراجعى أنت إليها؟ قال: نعم، فتاب عليه.

- وقيل[3] إن آدم سأل الله تعالى عن حقيقة ذنبه فقال: يارب هذا الذنب الذى أصبته كان من قبل نفسى أو من شىء سبق فى علمك قبل أن تخلقنى قضيته علىّ؟ فقال: بل شىء فى علمى كتبته عليك، قال: يارب فكما قضيته علىّ فاغفر لى، فتاب عليه.

ثمرة دعاء آدم عليه السلام

لقد استجاب الله تعالى لدعاء آدم، فقبل توبته، وغفر له ذنبه، وشمله برحمته وجنبه الهلاك والخسران فى الدارين، يشيرإلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ وقوله تعالى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾.

---

(١) البقرة: ٣٧

(٢) تفسير الطبرى: ١ / ٥٤٢، وتاريخ الطبرى: ١ / ١٣٢، والثعلبى: ٣٥.

(٣) من كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب: ص ٤٤٢.

وان استجابة الله إستغاثة آدم وتلقينه صيغة التوبة وهذا الدعاءلدليل ظاهر ومؤشر صحيح إلى القول بأن هذا الدعاء من الأدعية المستجابة وكيف لايكون كذلك والحال أن آدم لم يطلب من ربه شيئاً من متع الدنيا والآخرة بعد اعترافه بالذنب إلا أن يكون الله له ساتراً لأمره رحيماً بشأنه فهو فى الحقيقة يطلب مرضاة الله التى لاينبغى لامرىء أن ينشد سواها فهذا الدعاء جدير بأن يسمى دعاء الثناء وكان آدم يقول يارب لاغافر سواك ولارحيم إلا إياك..

- الإستنتاجات التى يمكن أخذها من دعاء آدم عليه السلام:

١- يجب الاعتراف بالخطأ فور وقوعه وهو إن دل على شىء فإنما يدل على حسن خلق صاحبه وصدقه وأمانته..

٢- الأجدى والأنفع أن يصارع المخطىء بالاعتراف خشية فوات الفرصة بالموت أو عدم التوفيق.

٣- ينبغى على المذنب أن ينظر إلى ذنبه (ولو كان تافهاً) على أنه جرم عظيم وبخاصة فى جانب الحق تعالى.

٤- طلب مغفرة الذنب بالصيغة الدالة على استعظام المذنب واستصغاره له بجانب مغفرة الله أمر ممدوح...

٥- تصدير الإستغاثات بالألفاظ المسعفة للإجابة كلفظ الرب أمر مطلوب ومستحسن.

٦- لابد للمخطىء أن يكون موقناً بأنه لاغافر لذنبه إلا الله ولهذا لاينبغى له الاكتفاء بطلب المغفرة فقط بل لابد أن يكون أعظم طمعاً فى مجاوزتها إلى طلب رحمات الله...

٧- إعلان العبد صراحة بأنه إذا لم يغفر له ربه ويرحمه سيكون ممن خسروا الدنيا والآخرة وهذا من صدق توحيده وقوة إيمانه ويقينه..

٨- تلقين الله آدم هذا الدعاء دليل على حب الله لمناجاة عباده له كما أنه دليل رحمته بخلقه.

٩- تلقين الله آدم هذا الدعاء يلفت نظر العبد إلى ضرورة مزاولته عند الحاجة لأنه من الأدعية المستجابة.

١٠- يفيد هذا الدعاء أن من أعظم خسران المرء حرمانه من مغفرة ربه ورحمته.

١١- لما لم يستغن آدم عليه السلام وهو رسول الله عن التوبة مع علو شأنه فنحن أولى بذلك.

١٢- إن ماظهر من آدم عليه السلام من البكاء على زلته تنبيه لنا لأن نكون أحق بالبكاء منه، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لوجمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكاء داود أكثر، ولوجمع بكاء داود إلى بكاء نوح لكان بكاء نوح أكثر، ولو جمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح عليهما السلام إلى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر». (الرازى).

١٣- يفيد هذا الدعاء أنه لابد للعبد أن يكون مشتغلاً بالتوبة فى كل حين وآن كما يدعم ذلك الأحاديث والآثار الدالة والحاثة على ذلك منها:

(أ) ماروواه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يصرّ من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة».

(ب) ومنها ماروواه ابن عباس عن النبى ﷺ: «توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إليه فى كل يوم مائة مرة».

(جـ) وقال عليه الصلاة والسلام: «أنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم مائة مرة». (الرازى)

الفصل الثاني

بواعث الدعاء عند الإنسان

حقيقة الإنسان فى القرآن:

الإنسان فى القرآن هو هبة الله فى خلقه، وظله فى أرضه،وخليفته فى مُلكه . . يدين بعقله فيما خضع لحواسه، ويدين بقلبه فيما طواه الغيب عنه فلا يدركه ببصره ولاسمعه،ويدين بجسده فيماهو متوقف على حياته ونموه واستمراره . .

والإنسان آية عظمى تنطق وتشهد على عظمة الخالق، وفيما أودع فيه سبحانه من العقل والأجهزة الكاملة فى صنعها، التامة فى أدائها، فكانت خلقة الإنسان على أجمل صورة وأحسن تقويم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾[١].

وقد أعطاه الله الطاقات كى يكشف بالعلم كنوز الأرض ويتمتع بطيباتها وجمالها نعمة خالصة من الله.

لكن هذا الإنسان على كل ماستودع الله فيه أمانة الخلافة فى هذه الأرض، وعلى كل ماسخر له من القوى والطاقات والأشياء، وعلى ماأودع الله فيه من طاقات المعرفة والاستعداد لإدراك الجوانب الضرورية له فى الخلافة وفى النواميس الكونية، ومع كل هذا فهو مخلوق ضعيف تغلبه به شهواته أحياناً،ويحكمه هواه تارة، ويقعد به ضعفه حينا، ويلازمه جهله بنفسه فى كل حين.

---

(١) التين : ٤.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾[2].

والإنسان هو أنا وأنت! هذا المخلوق العجيب الذى خلقه الله من العدم حين خلقه من التراب ثم تناسل منه ذلك الكم البشرى من بنى آدم، وفى خلق الإنسان وتطوره من تراب ثم من نطفة، ثم من علقة، آيات تدل وتشير إلى عظمة الخالق قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[3].

ولابد أن نشير هنا إلى بعض العناصر الأساسية لخلق الإنسان.

أولاً: اقتضت حكمة الله وعدله سبحانه وتعالى، جلت قدرته؛ أن خلق الأرض للإنسان يستطيع الحياة عليها، ومادام سبحانه وتعالى هو الذى استدعى الإنسان للوجود فكان لابد أن يوفر له مقومات حياته الأساسية، ومن هذا المنطلق خلق الله الكون بتمام قدرته وقبل أن يخلق الإنسان خلق الكواكب وخلق الأرض والماء والهواء والنباتات والحيوانات، كل هذا خلقه الله ليكون مسخراً لخدمة الإنسان خليفة الله فى الأرض فخلق الله أجناس الوجود تخدم بعضها البعض وكلها تخدم الإنسان، وقد تم هذا الخلق بكمال قدرة الله عز وجل، وهكذا شاء عدل الله أن يعطى الإنسان كل مقومات حياته قبل أن يُخلق ليمارس مهمته فى الأرض.

---

(١) المعارج: ١٩ - ٢١.

(٢) نوح: ١٧-٢٠.

(٣) الذاريات: ٢٠- ٢١ . . .

ثانياً: ومن تمام عدل الله وحكمته البالغة أن أعد الإنسان إعداداً تاماً وقبل أن ينزله إلى الأرض فكانت التجربة العملية التى مر بها آدم حين عصى ربه واستمع إلى وسوسة الشيطان فأغواه وأكل من تلك الشجرة المحرمة التى نهاه الخالق عن الإقتراب منها. فكانت هذه الشجرة فى وضوحها كافية لترى الإنسان ماهو منهج الحياة؟ وماذا سيلاقى؟ وكيف يواجه ماسيلاقيه؟

إنه حقاً تكريم عظيم لهذا الإنسان بأن حباه الله بكل هذه النعم، وأعده تمام الإعداد ليكون خليفته فى الأرض، والتى هى خلافة تنظيم وتدبير وزراعة وعمران..

فكان خلق آدم وذريته من بعده ليعمر الأرض خيراً، وليظل الإنسان على صلة دائمة بالله، عبادة واستغفار وتوبة، والإنسان هو الكائن الوحيد الذى وهبه الله العقل؛ أعظم ماشرف الله به هذا الإنسان، والأوانى تشرف بشرف ما يوضع فيها، فهو مستقر المعرفة، وبصائر الحكمة، وبه يستطيع الإنسان أن يميز بين الخير والشر، ويملك القدرة على التدبير وفنون العلم، وكيف يستفيد من كنوز الأرض لأنها مسخرة له.

وخلق آدم عليه السلام آية إعجاز، وطلاقة قدرة، تجلى فيها عظمة خالقه ومصوّره.

وفى خلق آدم دروس وعبر وحكم. وفيه تكريم وتشريف لآدم وذريته فى أشياء كثيرة وهبها الله لآدم وميزه بها عن بقية مخلوقاته:

١- منها تكريم الحق لآدم حين أمر الملائكة بالسجود له.

٢- وتكريمه حين خلقه جل جلاله بيديه.

٣- وتكريمه بتسخير الأرض ومافيها وحولها له بالقوى الكونية لتكون ملائمة لنمو الحياة الإنسانية.

٤- وتكريمه بما أودع الله فيه من استعدادات عقلية وعملية لاستغلال هذه المسخرات لخير الحياة الدنيا.

٥- وكرّمه الحق حين علمه الأسماء كلها وبهذه الخاصة امتاز عن الملائكة الطاهرين، ويوضح القرآن الكريم الإطار العام للصورة الكاملة المتكاملة للإنسان منذ أن عرف آدم طريقه إلى الدنيا. . فهو يحكى سبب خلقه ومستوى ثقافته ومكانته بين سكان الأرض فى آيات من سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

والإنسان فى القرآن الكريم غير البشر، فمواضع ورود كلمة «بشر» فى القرآن تعنى أن صفة البشرية فيه هى هذه الآدمية المادية التى تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق وبهذه الدلالة ورد لفظ البشر، ومن أبرز ماورد عن البشرية فى القرآن

(١) البقرة: ٣٠ - ٣٩.

هى ماورد فى بشرية الرسل والأنبياء، وتوضيح ظواهر البشرية وأعراضها المادية بينهم وبين سائر البشر.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[1].

ولفظ الإنسان تلتقى مع الأنس وهى دلالة لغوية أصيلة للمادة على نقيض التوحش، والإنسان ليس مناط إنسانيته فى إنتمائه إلى فصيلة الإنسان كما أنه ليس مجرد بشر تسيطر عليه النزوات المادية، وإنما الإنسان تميز بقدرة الله خالقه ومبدعه إلى الدرجات العُلى التى أهلته لخلافة الأرض، وماتحمّل من تبعات التكليف والأمانة العظمى.

فالإنسان هو المخلوق المميز المنفرد لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل، ومن تدبرآيات القرآن الكريم وتحقق ودقق فيما خص القرآن هذا الإنسان من آيات كثيرة يجد فيها التكريم والتشريف لهذا الإنسان ويدرك حقاً مدى المكانة العالية التى اختص بها الله تعالى هذا المخلوق المميز المنفرد، فقد ورد لفظ الإنسان فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة، وعندما نتدبر سياقها جميعاً فإننا نطمئن إلى الدلالة المميزة للإنسانية، ويكفينا أن نتدبر ماذكر فى القرآن الكريم عن الإنسان ونشأته وتطوره وذلك فى سورة العلق وفيها تتجلى الملامح العامة للإنسان، وتكرر ذكره فى السورة ثلاث مرات: المرة الأولى ينبهنا الحق إلى آية خلق الإنسان من علق، والثانية تشير إلى إختصاص الإنسان بالعلم، أما الثالثة ففيها تحذير للإنسان ممايتورط فيه من طغيان وفساد ولهو حتى يتمادى به الغرور والطغيان فيعتقد أنه استغنى عن خالقه.

قال تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ**

(١) الكهف: ١١٠.

الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾[4].

فمكانة الإنسان فى القرآن الكريم هى أشرف مكانة له فى ميزان العقيدة والفكر فهذا الكائن المكلف الذى يفكر ويعقل ويبصر ويتدبر، وبما تهيأ له من وسائل وقدرات العقل فى التبصر والتمييز بين الخير والشر، وذلك كله من جوهر إنسانيته التى تحمل بها الأمانة وتبعات التكاليف فى منهج الله. واستحق عليها الثواب والعقاب.

والإنسان خلق فى كبد: يصارع نوائب الدهر وهموم الحياة، ويعانى كثيراًمن الويلات والمصائب، لكنه لديه القدرة ويملك الطاقات التى يتخطى بها الصعاب، ويقتحم العقبات لتحقيق وجوده الإنسانى وأداء مسئوليته الإجتماعية.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾[6].

---

(١) العلق: ١ - ٨.
(٢) الإنفطار: ٦ - ٨.
(٣) سورة الإسراء: ٨٣
(٤) النحل: ٤.
(٥) الإنشقاق: ٦
(٦) البلد: ٨ - ١٢

وأهم شيء فى الإنسان حقيقة صفاته الأساسية التى لايمكن تعليلها إلا بأنها قبس من أمر الله وهى العلم والإرادة والتعبير والقدرة. إن علم الإنسان وبيانه يدلان مباشرة على خالقه. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾[1].

ونلاحظ إن كلمة الإنسان تُطلق على المذكر والمؤنث والجمع أناس، وأما «الناس» فإسم الجمع، وأصل كلمة إنسان «إنسيان» بالياء بدليل تصغيره «أنيسان»، وكلمة إنسان مشتقة من «إنس» والهمزة أصلية من المؤانسة والألفة، وإنسان فى نسى من النسيان لأن الله عهد إليه فنسى والهمزة على ذلك فى أوله زائدة.

---

(٢) الرحمن: ١ - ٤.

أهم الصفات البارزة فى الإنسان
ومدى تأثيرها فى نفسه وسلوكه

أما صفات الإنسان وغرائزه وميوله فهى كثيرة، وأهم مصادرها الحديثة مؤلفات علم النفس والأخلاق، فقد ذكر علماؤها العارفون بطبائع الإنسان مايزيد على الثلاثين؛ غير أنه يمكن إرجاعها إلى أربع صفات رئيسية هى:

١- حُب التملك.

٢- حُب التسلط.

٣- حُب الذات.

٤- حُب الشهوات.

* أما حب التملك فينسحب على كل نافع وضار سواء كان حسياً أو معنوياً فالنافع يعود على صاحبه بالخير دائماً، والضار مايُقصد بضره، وقد يعود عليه أحياناً بالخير أيضاً، وذلك بفضل تفهمه والكشف عن خباياه للإنتفاع بمافيه من خير وتجنب مافيه من شر.. إذ لم يوجد الشرالمحض..حتى إن إبليس اللعين ليس شراً محضاً،إذ لو كان كذلك لما كسب عُصاته ومحاربوه من عصيانهم ومحاربتهم له ثواباً ولما نالوا رضا ربهم وخالقهم، فهو لهذا ليس مصدر شر لمثل هؤلاء بل مصدر خير لأنهم حطموا آماله، ودحضوا مفترياته وأبطلوا أكاذيبه..

* وأما صفة التسلط المشروع وغير المشروع على العقلاء وغير العقلاء فهى مستحكمة على بنى الإنسان أيضاً فهو يحب أن يكون صاحب تسلط وسيطرة وتصرف دائماً فيما يملك، وفيما لايملكه سواءكان حلالاً أم حراماً.. تُعميه هذه الصفة فلاينظر إلى أسبابها ولاإلى مراحلها،ولا إلى غاياتها وماقد تئول عاقبتها عليه بالخسران والوبال.

* وحبُّ الذات وهى الأنانية فتلك شر الصفات حيث لايرى صاحبهاعيوب نفسه ولافضائل غيره بل تحبسه فى ذات نفسه محاولة إقناعه بأن نفسه هى الجديرة بكل خير، المتصفة بكل فضيلة؛ العارية من كل رذيلة، الخالية من كل نقص وعيب، وكأن مرآة الدنيا ليس فيها سوى صاحب هذه الصفة يصبح ويمسى قائلاً أنا أنا فى كل مايفعل أو يذر[1].

* وكذلك الشأن فى حب الشهوات وهى التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** (١٤) ﴾[2].

وهذه المحبوبات المذكورة فى الآية الكريمةهى أهم شهوات الإنسان ومحط آماله..

هذه الصفات الأربع سالفة الذكر يتولد عنها فى الإنسان صفات كثيرة أهمها:

١- صفة الانفعال.

٢- الغضب.

٣- الإنتقام.

٤- حب البقاء واستمراره وذلك بظهور غريزة الأبوة والأمومة.

٥- جحود المعروف ونسيان الجميل والتنكر لكل من أسدى إليه خيراً يؤلمه تذكره.

٦- وتورثه الخوف والجبن.

---

(١) يذر: يترك.

(٢) آل عمران: ١٤.

هذه الصفات الأربع والست المتولدة عنها هى أهم ماذكره علماء النفس والأخلاق عن الإنسان وذلك عند الكلام عن غرائزه.. إلا أنهم ذكروا بالرغم من هذا صفات له حميدة متولدة أيضاً عن الصفات الأربع الأساسية مثل الكرم والشجاعة.. وإذا قارنا بين هذه الصفات وماذكره القرآن الكريم من صفات للإنسان من خلال أدعيته لوجدناه كان ولايزال، أوفى على الغاية فى هذا المقام وأعمق فقد ذكر من الصفات البشرية الكثير والكثير سواء منها ماكان مصدر خير أو شر..

فمن الصفات المستقبحة فى الإسلام والتى نهى عنها القرآن والسُّنة وظهرت جلياً فى أدعية الإنسان المسلم:

١- النفاق ٢ - الشك

٣ - سوء الظن ٤ - الجدال

٥ - الإلحاح فى نزول العذاب ٦ - العناد

٧ - العجلة ٨ - الاستهزاء بالقيم والأخلاق الفاضلة

٩- المكابرة ١٠- التمرّد

١١- المداراه ١٢- اليأس

١٣- الجبروت ١٤- النكث

١٥- عدم احترام شرف الكلم ١٦- الإفتداء برؤساء الكفر والضلال

وإنصافاً للحق فقد سجل القرآن الكريم صفات كريمة لبنى البشر وامتدحهم عليها وحثهم على دوام التحلى بها، والإلتزام بها فى صفحاته الخالدة.

مثل:

١- الكرم ٢- الأمانة

٣- الوفاء ٤- الصدق

٥- الإيثار ٦- الحياء

٧ - المحبة ٨ - الغيرة

٩ - النجدة ١٠- الإباء

١١- الشهامة ١٢- الشجاعة

١٣- الصبر ١٤- الحكمة

١٥- بُعد النظر

. . . ويمكن إدراك معظم هذه الصفات من خلال أدعية الإنسان . . .

ومن أجل غلبة الصفات الأربع سالفة الذكر وما انبثق عنها من تلكم الصفات الحميدة غالباً، كان من إكرام الله تعالى لابن آدم أن زوّده بطاقات عظيمة، ونعم لاتحصى حتى تكون زاده فى الحياة . . كما سلحه بأسلحة شتى لكى يقاوم بها ماقد يستبد به من صفات لوتركت على سجيتها من غير حدود على طبيعتها، لدمرت حياته تدميراً. وكان من أهم هذه النعم وتلكم الأسلحة التى زود الله بها الإنسان :

١- العقل.

٢- قوة الإرادة.

٣- الرسل.

٤- الكتب المقدسة.

٥- الصحف المنزلة.

٦- وكل ماسوى الإنسان فهو نعمة له من الله مسخرة ومذللة له . .

كذلك زوده الله تعالى بطاقات روحية من إيمان به جل شأنه، وتوكل واعتماد عليه، والتزام بطاعته، واتباع أوامره، واجتناب محارمه، ومنحه الاستعاذة يرددها عند الأزمات، ويتلوها عند النكبات لتكون له حصناً ووقاية وهداية ونوراً . . كما أمره الله تعالى بالدعاء والتضرع والمناجاة والإلتجاء إليه عند الملمات والكوارث فى أى وقت أو مكان.

بواعث الدعاء ومدى ارتباطها بسجايا الإنسان:

البواعث الحاملة للإنسان على الدعاء كثيرة جداً كثرة شئون حياته، فهى متعددة بتعدد آماله وآلامه وغاياته وأهدافه غير أنه يمكن إيجازها فيما يلى:

١- شخصية.

٢- وغير شخصية.

فالشخصية إما لنفسه أو عن نفسه أو تهكماً وإستهزاءً وسخرية...

أى إما أن يكون داعياً لنفسه بالخير عاجلاً أو طالباً الإستزادة، منه أو دوامه... وإما أن يكون داعياً لدفع ضر عن نفسه عاجلاً أو آجلاً أو طالباً التنقيص منه أو إزالته بالمرة.

وإما أن يكون داعياً على نفسه تهرباً من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة.

وإما أن يكون داعياً تحدياً واستهزاء وتهكماً..

وغير الشخصية: إما على وجه العموم أو الخصوص أو للإنتقام والتشفى والقصاص أى أما أن يكون داعياً لجميع المسلمين على إمتداد الأرض بالخير ودفع الضر.

وإما أن يكون داعياً للبعض بالخير تأسيساً أو استزادة أو استدامة أو لدفع الضر.

وإما أن يكون داعياً على البعض قصاصاً أو إنتقاماً وتشفياً..

فالله تعالى قد منّ على الإنسان بالوجود والإستخلاف والتسخير لكل ماعداه مما يخضع لقواه ويمكن الإنتفاع به.. فلاعجب إذا رأيناه يتجه إلى ذلك بفطرته ويستغل كل ماحوله ويذلله، وهذا قدر مشترك بين الكائنات الصوتية تتجه إلي الخير حيث يكون كما تفر من الشر حيثما حل.. ويتميز الإنسان من بين هذه الكائنات بالدعاء لإستجلاب الخير ودفع الضر وبخاصة إذا عجز عن تحقيق ذلك بواسطة إمكاناته ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا أصدق تعبير فقال: «لايسأم

الإنسان من دعاء الخير» فليس فى قاموس اللغة العربية مايفيد فائدة هذه الكلمة وماتهدف إليه. . فالإنسان لايمل الدعاء لنفسه سواء كان لجلب الخير أو دفع ضر فتلك طبيعة البشر تنفر مما يسبب لها التعاسة والألم لأنها تأبى الضيم وتهرب مما يسبب لها الشقاء ولقد أبدع القرآن المجيد فى التعبير عن هذا حتى لكأنك تراه محساً مجسداً فقال: «وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض». ولقد استعملت العرب كلمة «عريض» كناية عن الكثرة وليس فى كلامهم أدق ولاأرق من هذا البيان فى هذا المقام.

وتمتد إنسانية إنسان القرآن فى هذا المجال لتتخطى ذاتها إلى الأقرباء والخلان فتشملهم بما شملت به نفسها من تضرع ودعاء واستنجاد لاستجلاب الخير لهم ودفع الأذى عنهم إذ هى بهم ومنهم ولهم فيصور لنا القرآن هذا فى سورة الحشر على لسان من جاءوا بعد صحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار فيقول:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

وتتسع رحابة المسلم التقى لتشمل كل أهل عقيدته فيدعو لهم بمثل مايدعوبه لنفسه يذود بهذه الأدعية عن حياضهم راجياً لهم من الله تعالى التوفيق والسداد فى الدارين ولذا جاءت هذه الإستغاثات فى صورة الجمع لتكون لله خالصة وادعى للقبول فقال هؤلاء الصالحون:

﴿ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾[2] ولقد ضرب القرآن الكريم المثل الأعلى فى هذا المقام حيث أمر المؤمنين به أن يسلكوا فى دعائهم الطريق الجماعى بل فرض ذلك عليهم فى أعظم فريضة فى الإسلام ألا وهى الصلاة وذلك أثناء قراءته الفاتحة حيث قال: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ الآية.

---

(١) الحشر ١٠.

(٢) آل عمران: ١٩٤.

هذا المؤمن الذى خطوه على هذا الدرب لايستبيح لنفسه أن يجعل كل همه ودعائه محصوراً فى حياته الدنيا، كما أنه لايطلب الخير لذاته بل لإبتغاء مرضاة الله لأنه كم من خير فى ظاهر أمره وحقيقته الوبال والخسران على صاحبه لهذا اعتاد هذا المؤمن أن يقول فى دعائه:

«اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه» فهو لم يتخذ الدنيا وخيرها نهاية له وغاية بل اعتبرها معبراً لدار أفضل وحياة أهنأ ومقام أخلد فانطلق لسانه قائلاً: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[1] كما تعلم المؤمن من المصطفى أن يقول: «اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا» وأن يقول أيضاً: «ربنا أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادك» وأن يقول: ﴿**رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾**﴾[2].

هذا النوع الممتاز من الناس يدعو الله فى الرخاء كما يدعوه فى الشدة لأنه وعى قول الحبيب «تعرف على الله فى الرخاء يعرفك في الشدة» فهوليس بموسمى الدعاء ولاانتهازى الفرص. ولاأنانى السلوك والمبدأ ﴿**إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾**﴾[3] بل على النقيض من ذلك لعلمه بنفسه وبقضايا دينه وصلته بربه وبخالقه فهو على طاعته تعالى فى المنشط والمكره إن أصابه ضراء صبر وإن أصابه نعماء شكر.

أما المشرك والكافر والمنافق فهم على العكس من ذلك لايعترف الواحد منهم بالله إلاعند الضرورة القصوى، وذلك حينما تنقطع به أسباب الحياة والنجاة وتضل عنه آلهته التى عبدها زوراً من دون الله ووقتها يتأكد أنه كان في وهم وخيال وقد انحسر عنه الظلام وبدا نور الحق فى الأفق وضاء.. يضطر ذلك العنيد الضعيف أن يعاهد ربه أن أنجاه ومد فى حياته ليكونن من الشاكرين فإذا مااستجاب الله دعاءه ولبىّ استغاثته وأنقذه من ورطته ارتد إلى حالته الأولى

(١) البقرة: ٢٠١.
(٢) آل عمران: ١٩٤.
(٣) المعارج: ٢٠ - ٢١.

وكأن لم يكن شيء بل ربما البعض من هذا الصنف لايكتفى بمثل هذه الردة فيتوغل فى الطغيان أكثرمن ذى قبل وينأى بجانبه عن جناب الله وواسع رحمته.

هذا الصنف من الناس لايعرف طريق الله إلا عند الأزمات واشتداد الخطوب وكل من كان أمره كذلك لن يوفقه الله إلى مايسعده من دعاء لهذا فهو عن اسعاد نفسه عاجز وعن إسعاد غيره أكثر عجزاً لأن فاقد الشيء لايعطيه غيره فهو فى صورته هذه لايتسنى لمثله أن يمد يد المساعدة دعاء إلى أهله وخلانه.

بل ربما دعا هذا الصنف من الخلق ربه تهكماً قائلاً كما قال كفار مكة ﴿ **اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (٣٢) ﴾[١] هكذا قالوا لسيد الرسل كما رددوا لإخوانه السابقين عليه لكل منهم ﴿ **ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[٢].. وأن مثل هذا النوع من الناس لايفرق بين أدعية الخير والشر فهما فى نظره سواء.. ولوعاملهم الله تعالى بمقتضى استعجالهم لما أبقى منهم على وجه الأرض أحداً..إذ هم يستعجلون الشر بالدعاء على عجل ولذلك قال الله: ﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾[٣].

وهناك نوع آخر من البشر طفولى بطبعه أنانى بسجيته يغلب عليه عنصر الاستحواذ على كل شيء فإذا لم يوفق في حياته ولم يبلغ مُناه دفعته هذه الصفة إلى الانتقام من نفسه ومن غيره.. هذا النوع ضعيف الإيمان هزيل اليقين مضطرب التفكير إذا خانه الحظ وجاوزه أقام الدنيا وأقعدها سابا للدهر والأعوام وإذا ضاقت ذات يده بالنفقة على أهله تراه متبرما بالحياة التى أصابته بشظفها وثقلت عليه بنفقات أولاده.

فهذا الصنف لايرتضى قانون الحياة ولايثق فيما عند الله ولايؤمن بقضائه وقدره.. كما لم يفهموا قول المصطفى لجبريل عليهما السلام «حينما عرض عليه

---

(١) الأنفال: ٣٢

(٢) العنكبوت: ٢٩

(٣) يونس: ١١.

إن رضى أن يجعل له جبال مكة ذهباً» «لايا أخى جبريل أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر» فرسول الله يرضى بهذا الوضع ليكون علي قرب من الله دائماً وهؤلاء لايرتضون ذلك لهم منهجاً ولايبغون سلوكاً. . بل الأشنع من ذلك أن فيهم من إذا كرهوا سخطوا وإذا سخطوا دعوا، وإذا دعوا بالغوا، وإذا بالغوا فجروا وتشفوا ولم يعلموا أن لكل أمرىء أحباب وأعداء، والمتزن فى سلوكه هو الذى لايبالغ فى الحب ولايتمادى فى الكره فعسى الأيام أن تريه من صديقه أوعدوه عكس ماظن وارتأى له. . فلا ينبغى الدعاء على الغير ولا على النفس بما يوردها موارد الهلاك فقد وردت عن المصطفى أحاديث كثيرة تنهى المسلم عن اتخاذ هذا الطريق مركباً فلاينبغى الدعاء على النفس والولد والمتاع وكل مايمكن الانتفاع به وماعساه أن ينتظر منه الخير مستقبلاً خشية أن يصادف هذا الدعاء قبولاً عند الله فيقع المحذور ويندم الداعى ويأت ساعة الندم.

هذا الصنف من الناس «وإن نطقوا بالشهادتين» ليسوا لأنفسهم خيراً ولالذويهم. ولا لأحبابهم خيراً فضلاً عن أن يكونوا لأعدائهم كذلك، وكأنى بهم لم يقرأوا قصة الرجل الصالح الذى سُرق ماله فلم يتبرم بقضاء الله وقدره ولم يسخط على الدهر أيامه، ولم يدعُ على من سلب ماله وسرقه، بل قال كلمة صارت مثلاً وحكمة قال: (اللُهم إن كان فى حاجة إلى مأأخذ فبارك اللهم له فيه، وإن كان فى غيرحاجة إلى مأأخذ فاجعلها اللُهم آخر سرقة له.

وهكذا ينبغى أن يكون الإنسان المؤمن التقى.

الفصل الثالث

أثر البيئة فى دعاء الإنسان

المقصود بالبيئة: المناخ الطبيعى، والمجتمع الإنسانى الذى يولد فيه الإنسان، وبه ينشأ ويترعرع، وتتكون فيه شخصيته، ويتأثر المرء بهذه البيئة ويوثر فيها . .

فأما البيئة الطبيعية فمنها الحضارية والريفية والبحرية والبرية والساحلية والسهلية والصحراوية والجبلية، والجليدية والإستوائية، وغيرها.

وأما البيئة غير الطبيعية فمنها العلمية وهى كثيرة ومتنوعة، وكذا البيئة العمالية من صناعية ومهنية وحرفية، والبيئة الإدارية والسياسية والقيادية والعسكرية والإقتصادية والتجارية إلى غير ذلك.

وكل إنسان يتأثر بالبيئة التى ينتسب إليها . . وكذلك يؤثر فيها بحكم انتمائه إليها، واحتكاكه بها، ومعيشته فيها منذ طفولته إلى شرخ شبابه وكهولته وتأثره بها ينعكس على أغلب تصرفاته فعلية كانت أو قولية، والدعاء قول، فهو إذاً متأثر بالبيئة التى ينتسب إليها، ولأن الدعاء يمثل رغبة الداعى وآماله فى الحياتين، الدنيا والآخرة، فيغلب على الدنيا طابع الماديات والمحسوسات، وأثر البيئة فى ذلك ظاهر جلى، أما الحياة الآخرة فيغلب عليها طابع الرغبة الصادقة فى المغفرة والرحمة والرضوان.

والحديث عن البيئة والدعاء، يتطلب استقراء كاملاً لبيان تعدد البيئات كما يتطلب مسحا وافياً لبيان أنواع الدعاء، وذلك تبعاً لتفاوت البيئات والسير، ممايطول شرحه، ولايقتضيه المقام أو يتسع له . . ولهذا فسوف نكتفى بالبيئة

العربية وأثرها فى أدعية المنتسبين إليها.. ويقدم صاحب العقد الفريد[1] أدعية للعرب بلغت من الفصاحة أوضحها، ومن البلاغة أعلاها.. ومن الإيجاز منتهاه.. فمن محاسن دعائهم للمسافر:

* قال النبى ﷺ لرجل أراد سفراً: «اللهم أطوِلُه البعد، وهوّن عليه العسير» وكانوا يقولون: استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك.

ويقولون: اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل. ويقولون: - بأسعد جدّ، وأنجح مطلب وأسر منقلب، وأكرم بدأة، وأحمد عاقبة.

- وفى رسالة للبحترى: إلى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك، وتتقاعس نوائب الأيام دونك.

* وقال رجل للنبى ﷺ: إنى أريد سفراً. فقال: فى حفظ الله وكنفه، زوّدك التقوى، ووجهك إلى الخير حيث كنت.

* وكتب أبو العيناء: استخلف الله فيك واستخلفه..

- ولابن أبى السرح:

فى كنف الله وفى ستره   من ليس يخلو القلب من ذكره

وأنشد آخر :

فارحل أبابشر بأيمن طائر   وعلى السعادة والسلامة مانزل

* ودعا رجل لآخر فقال: سرك الله بما ساءك، ولاساءك فيما سترك.

* ودعا أعرابى لآخر فقال: رحب واديك، وعز ناديك، ولاألم بك ألم، ولاطاف بك عدم، وسلمك الله ولاأسلمك.

---

(١) العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسى: الدعاء بالخير جـ٣ ص ٨٧، ٨٨، ٨٩ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م.

* ودعى أعرابى لعبد الله بن جعفر فقال: لاابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك، وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك، وأبقاك ماتعاقب الليل والنهار، وتفاسخت الظلم والأنوار.

* ودعا بعضهم لآخر فقال: زوّدك الله تعالى الأمن فى مسيرك، والسعد فى مصيرك، ولاأخلاك من شهر تسجده، وخير من الله تسمّده.

* وعزى شبيب بن شبه يهودياً فقال: أعطاك الله على مصيبتك أفضل ماأعطى أحداً من أهل ملتك.

* وقال أعرابى: رزقك الله من غير طلب شديد، ولاسفر بعيد.

* ومن الدعاء بالتوفيق والإعاذة من الشرور قولهم: فرغك الله لما له خلقك، ولا شغلك بما تكفل به لك.

* وقال سعيد بن المسيب مرّ بى صلة بن أشيم، فقلت أدع لى فقال: رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، وأعاذك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، ومخالفة الهوى، وسُنة الغفلة، وإيثار الباطل على الحق، وأعاذك سوء السيرة. . وإحصاء الصغيرة، ومن شماتة الأعداء، والفقر إلى غير الأكفاء.

* وقال أعرابى: أعاذك الله من هول المطلع، وضيق المضجع، وبسعد المرتجع. وقال آخر: أعانك الله على الدنيا بالسعة، وعلى الآخرة بالمغفرة.

* ومن الدعاء قولهم: جعل الله لك فى الخير جداً، ولاجعل معيشتك كداً، أعاذك الله من القنوع، والخضوع والخنوع، أعاذك الله من بطر الغنى ومذلة الفقر، جعل الله لك رزقاً واسعاً، وجعلك به قانعاً وهب الله لك من غناء، مالايقدر عليه سواه.

* وللقادم من سفر: خير مارد فى أهل ومال، أى جعلك الله كذلك.

* ولطول العمر: بلغ الله بك أكلأ العمر، أى أقصاه.

* ولراحة البال: نعم عوفك، أى نعم بالك.

* وفى النكاح: بالرفاء والبنين[1]، يريدون بالرفاء: الكثرة، يُقال رفأته: إذا دعوت له بالكثرة.

ويقال أيضاً فى هذه المناسبة «على يد الخير واليمن».

* وفى الخير دون الشر «هنئت ولاتنكه»[2] أى أصابك خير ولاأصابك ضر.

* الدعاء عليه قاصدين الحمد لله: هوت[3] أمه. وهبلته[4] أمه أى يدعون له وهم يريدون الحمد له. .ونحوه «قاتله الله»، «وأخزاه الله» إذا أحسن، ومنه قول أمرىء القيس:

ماله لاعُدّ من نفره

دعاء العرب على الإنسان

* «فاها لفيك» يريد الأرض لفيك.

* «بفيك الأثلب» (والأثلب) بالفتح وبكسر هو التراب والحجارة أوفتاتها.

* «لليدين وللفم» أى على اليدين وعلى الفم، أى أسقطه الله عليهما، يقال عند الشماته بسقوط إنسان.

---

(١) نهى رسول الله ﷺ عن هذه التحية التى كانت تُقال فى الجاهلية وأبدلنا بأحسن منها، وهى أن نقول: «بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما فى خير».

(٢) الهاء فى (ولاتنكه) للسكت، وأصله لاتنك بغير هاء، ويروى أيضاً هنئت ولم تبكه، أى وجدت ميراث من لم تبكه.

(٣) هوت: سقطت.

(٤) هبلته: ثكلته أى فقدته.

ولما أتى عمر بن الخطاب[1] رضى الله عنه بسكران فى رمضان قال له: لليدين وللفم، أولادنا صيام وأنت مفطر؟ وضربه مائة سوط.

* «يجنبه فلتكن الوجبة» أى يزيد الصرعة.

* «من كلا جانبيك[2] لالبيك» أى لاكانت لك تلبية ولاسلامة من كلا جانبيك، والتلبية هى الإقامة بالمكان.

* وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها وكانت تكرهه:

ومـادعـوت عـليه حـين ألعنه إلا وآخـر يـتـلـوه بـآمـيـن

فـليـتـه كـان أرض الـروم منزلـه ولـيتنى قبـلـه قـد صرت للصين

* «بك لابظبى» وروى «به» أى لتنزل الحادثة به لابظبى.. جعل عنايته بالظبى أشد من عنايته به.. وكأنه خص الظبى لأن العثار والكسر إليه سريعان، أو لأنه متى أصابه داء مات سريعاً. ومنه قول الفرزدق:

أقـول لـه لمـا أتـانى نـعيـه بـه لابظبـى بالـصـريمة أعـفرا[3]

ومنه قول حبيب:

صـفراء صـفرة صـحبة قـد ركبت جثمـانه فـى ثـوب سـقم أصـفر

قتلـته سـراً ثـم قـالـت جهـرة قـول الفـرزدق لابظـبى أعـفر

* «لالعاله» أى لاأقامه الله، قال الأخطل: ولالعالبنى ذِكوان إذا عثروا.

* جذَع الله مسامعه.

---

(١) كذا فى بعض الأصول ومجمع الأمثال ولسان العرب (مادة نخر) والذى فى سائر الأصول «على بن أبى طالب».

(٢) ويروى جنبيك.

(٣) الصريمة: القطعة المنقطعة من معظم الرمل، والأعفر الذى يعلو بياضه حُمرة.

* «عقداً حلقاً» أى عقره الله وحلقه أى أصابه الله بوجع فى حلقه.

من أقوال الأعراب فى الدعاء(*):

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: ماقوم أشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم. وقال غيلان: إذا أردت أن تسمع دعاء فاسمع دعاء الأعراب، وقال أبو حاتم: أملى علينا أعرابى يقال له «مرثد» مايلى من الدعاء:

«اللهم اغفر لى والجلد بارد، والنفس رابطة، واللسان منطلق، والصحف منثورة، والأقلام جارية، والتوبة مقبولة، والأنفس مريحة، والتضرع مرجو، قبل أز[1] العروق، وحشك النفس[2]، وعلز[3] الصدر، وتزيل الأوصال، ونصول الشعر، وتحيف[4] التراب، وقبل ألاأقدر على استغفارك حين يفنى الأجل، وينقطع العمل[5]، أعنى على الموت وكربته، وعلى القبر وغمته، وعلى الميزان وخفته، وعلى الصراط وزلته، وعلى يوم القيامة وروعته،اغفر لى مغفرة واسعة[6]، لاتغادر ذنباً، ولاتدع كرباً، اغفر لى جميعماافترضت علي ولم أؤده إليك، اغفر لى جميع ماتبت إليك منه ثم عدت فيه، يارب، تظاهرت على منك النعم، وتداركت عندك منى الذنوب، فلك الحمد على النعم التى تظاهرت، واستغفرك للذنوب التى تداركت، وأمسيت عن عذابى غنياً، وأصبحت إلى رحمتك فقيراً، اللهم إنى أسألك نجاح الأمل[7] عند انقطاع الأجل، اللهم اجعل خير عملى ماولى أجلى، اللهم اجعلنى من الذين إذا أعطيتهم شكروا، وإذا ابتليتهم صبروا، وإذا ذكرتهم ذكروا، واجعل لى قلباً تواباً أواباً، لافاجرا

(*) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى: جـ٣، ص ٤١٨ إلى ص ٤٢٥.
(١) أز العروق: ضرباتها، وفى بعض الأصول «أز الغرق» وهو محّرف.
(٢) حشك النفس: إجتهادها فى النزع.
(٣) العلز: القلق والكرب عند الموت.
(٤) التحيف: التنقص، وفى بعض الأصول «واحتياف».
(٥) فى بعض الأصول «الأمل».
(٦) فى بعض الأصول: «عزماً».
(٧) فى أ: «العمل»

ولامرتاباً، اجعلنى من الذين إذا أحسنوا ازدادوا، وإذا أساءوا استغفروا، اللهم لاتحقق على العذاب، ولاتقطع بى الأسباب، واحفظنى في كل ماتحيط به شفقتى[١]، وتأتى من ورائه سبحتى[٢]، وتعجز عنه قوتى، أدعوك دعاء خفيف[٣] عمله، متظاهرة ذنوبه، ضنين على نفسه، دعاء من بدنه ضعيف، ومنته عاجزة، قد انتهت عدته وخلقت جدته، وتم ظمؤه[٤].

اللهم لاتخيبنى وأنا أرجوك، ولاتعذبنى وأنا أدعوك، والحمد لله على طول النسيئة، وحسن التباعة وتشنج العروق، وإساغة الريق، وتأخر الشدائد، والحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته، والحمد لله الذى لايودى قتيله ولايخيب سوله، ولايرد رسوله، اللهم إنى أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، وأعوذ بك أن أقول زوراً، أو أغشى فجوراً، أو أكون بك مغروراً وأعوذ بك من شماتة الأعداء، وعضال الداء، وخيبة الرجاء، وزوال النعمة، وفجأة النقمة.

(دعاء أعرابى وهو يطوف بالكعبة)[٥]

إلهى، من أولى بالتقصير والزلل منى وأنت خلقتنى، ومن أولى بالعفو منك عنى، وعلمك بى محيط، وقضاؤك فىّ ماضٍ، إلهى أطعتك بقوتك والمنة لك، ولم أحسن حين أعطيتنى، وعصيتك بعلمك، فتجاوز عن الذنوب التى كتبت على، وأسألك ياإلهى بوجوب رحمتك، وانقطاع حجتى، وافتقارى إليك، وغناك عنى، أن تغفر لى وترحمنى، اللهم إنا أطعناك فى أحب الأشياء إليك، شهادة أن لاإله إلا أنت وحدك، لاشريك لك، ولم نعصك فى أبغض الأشياء إليك،

---

(١) أى فى كل ماأحب.

(٢) السبحة: «الدعاء».

(٣) فى بعض الأصول: «ضعيف».

(٤) الظمء: مابين الشربين والوردين.

(٥) المصدر السابق.

الشرك بك، فاغفر لى مابين ذلك، اللهم إنك آنس المؤنسين لأوليائك، وخير المعينين[1] للمتوكلين عليك، إلهى، أنت شاهدهم وغائبهم والمطلع على ضمائرهم، وسرى لك مكشوف، وأنا إليك ملهوف، إذا أوحشتنى الغربة، آنسنى ذكرك، وإذا أكبت على الهموم لجأت إلى الإستجارة بك، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك، ومصدرها عن قضائك، فأقلنى إليك مغفوراً لى، معصوماً بطاعتك باقى عمرى، ياأرحم الراحمين.

(أدعية ذكرها العقد الفريد عن الأصمعى الذى ذكر لبعضها مناسبات غيرأن جميعها لم ينسبها لأحد).

قال الأصمعى: حججت فرأيت أعرابياً يطوف بالكعبة ويقول: ياخير موفود سعى إليه الوفد، قد ضعفت قوتى وذهبت منتى، وأتيت إليك بذنوب لاتغسلها الأنهار، ولاتحملها البحار، أستجير برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، ثم التفت فقال: أيها المشفعون، ارحموا من شملته الخطايا، وغمرته البلايا، ارحموا من قطع البلاد، وخلف ماملك من التلاد، ارحموا من رنحته[2] الذنوب

عظيم الذنب مكروب ... من الخيرات مسلوب
وقد أصبحت ذا فقر ... وماعندك مطلوب

وظهرت منه العيوب، ارحموا أسير ضر، وطريد فقر، أسألكم بالذى أعملتكم[3] الرغبة إليه، إلا ماسألتم الله أن يهب لى عظيم جرمى، ثم وضع فى حلقة الباب خده وقال: ضرع خدى لك، وذل مقامى بين يديك ثم أنشد يقول:

وقال الأصمعى: خرجت أعرابية إلى «منى» فقطع بها الطريق فقالت:

---

(١) فى بعض الأصول «وأحضرهم» مكان «وخير المعينين».
(٢) فى بعض الأصول «وبخته».
(٣) فى بعض الأصول «أعملتم»

يارب،أخذت وأعطيت وأنعمت وسلبت، وكل ذلك منك عدل وفضل، والذى عظم على الخلائق أمرك، لأبسطت لسانى بمسألة أحد غيرك، ولابذلت رغبتى إلا إليك، ياقرة أعين السائلين، أغثنى[1] بجود منك أتبحبح فى فراديس نعمته، وأتقلب فى راووق[2] نضرته، أحملنى من الرجلة[3] وأغننى من العيلة، واسدل على سترك الذى لاتخرقه الرماح، ولاتزيله الرياح، إنك سميع الدعاء.

وقال الأصمعى: سمعت أعرابياً فى فلاة من الأرض وهو يقول فى دعائه:

«اللهم إن استغفارى إياك مع كثرة ذنوبى للؤم، وإن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك لعجز، إلهى كم تحببت إلى بنعمتك وأنت غنى عنى، وكم أتبغض إليك بذنوبى وأنا فقير إليك سبحان من إذا توعد عفا، وإذا وفد وفى».

وقال الأصمعى: سمعت أعرابياً يقول فى دعائه:

«اللهم إن ذنوبى إليك لاتضرك، وإن رحمتك إياى لاتنقصك، فاغفر لى مالايضرك، وهب لى مالاينقصك».

وقال الأصمعى: سمعت أعرابياً وهو يقول فى دعائه:

«اللهم إنى أسألك عمل الخائفين، وخوف العاملين،حتى أتنعم بترك النعيم طمعاً فيما وعدت، وخوفاً مما أوعدت.. اللهم أعذنى من سطواتك، وأجرنى من نقماتك، سبقت لى ذنوب، وأنت تغفر لمن يتوب، إليك بك أتوسل، ومنك إليك أفر...».

وقال الأصمعى: سمعت إعرابياً يقول:

«اللهم إن أقواماً آمنوا بك بألسنتهم ليحقنوا دماءهم،فأدركوا ماأملوا وقد آمنا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك، فأدرك بنا ماأملنا».

---

(١) فى بعض الأصول «أغننى».

(٢) الراووق: المصفاة وهى إناء يروق فيه الشراب.. وربما سموا الباطنية راووقا المنجد.

(٣) الرجلة: بالضم المشى راجلاً.

قال الأصمعي ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول: «رب، أتراك معذبنا وتوحيك فى قلوبنا ومأخالك تفعل، ولئن فعلت لتجمعننا[1] مع قوم طالما أبغضناهم لك».

وقال الأصمعي دعا أعرابى عند الكعبة فقال:

«اللهم أنه لاشرف إلابفعال، ولافعال إلا بمال، فأعطنى ماأستعين به على شرف الدنيا والآخرة». . قال الأصمعي وقف أعرابى فى بعض المواسم فقال:

«اللهم إن لك عليّ حقوقاً فتصدق بها على، وللناس قبلى تبعات فتحملها عنى، وقد وجب لكل ضيف قرى، وأنا ضيفك الليلة، فاجعل قراى فيها الجنة».

وقال الأصمعي رأيت أعرابياً أخذ بحلقتى باب الكعبة، وهو يقول:

سائلك عبد[2] ببابك، ذهبت أيامه، وبقيت آثامه، انقطعت شهوته، وبقيت تبعته[3]، فارض عنه، وإن لم ترض عنه فاعف عنه غير راض (فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راض).

وقال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول فى صلاته:

الحمد لله حمداً لايبلى جديده، ولايحصى عديده، ولاتبلغ حدوده، اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره، واجعل القبر خير بيت نعمره، واجعل مابعده، خيراً لنا منه، اللهم إن عينى قد أغرورقنا دموعاً من خشيتك، فاغفر الزلة، وعد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك».

وقال الأصمعي رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول:

---

(١) فى بعض الأصول: «لجمعتنا».

(٢) فى بعض الأصول: «عند».

(٣) فى بعض الأصول: «تباعته».

إلهى، عجت إليك الأصوات بضروب من اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتى إليك إلهى أن تذكرنى على طول البلاء[1] إذا نسينى أهل الدنيا، اللهم هب لى حقك، وأرض عنى خلقك.. اللهم لاتعينى بطلب ما لم تقدره لى وماقدرته لى فيسره لى..».

وقال الأصمعى دعت إعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت:

كان الله صاحبك فى أمرك، وخليفتك فى أهلك، وولى نجح طلبتك، امض مصاحباً ملكؤا لاأشمت الله بك عدوا، ولاأرى محبيك فيك سوءاً».

وقال الأصمعى ومات ابن الأعرابى فقال:

«اللهم إنى وهبت له ماقصر فيه من برى، فهمت له ماقصر فيه من طاعتك، فإنك أجود وأكرم».

وقال العتبى سمعت أعرابياً بعرفات عشية عرفة وهو يقول:

«اللهم إن هذه عشية من عشايا محبتك، وأحد أيام زلفتك، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك، لايشرك بك شيئاً، بكل لسان فيها تدعى، ولكل خير فيها ترجى، أتتك العصاة من البلد السحيق، ودعتك العناه من شعب المضيق[2]، رجاء ما لاخلف له من وعدك، ولاانقطاع له من جزيل عطائك، أبدت لك وجوهها المصونة، صابرة على لفح السمائم[3]، وبرد الليالى، ترجو بذلك رضوانك ياغفار، يامستزادا من نعمه، ومستعاذاً من كل نقمة، ارحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق، ثم بسط كلتا يديه إلى السماء، وقال: اللهم إن كنت بسطت يدى إليك راغباً، فطالما كفيت ساهياً بنعمك التى تظاهرت على عند الغفلة، فلا أيأس

---

(١) فى بعض الأصول «البكاء».

(٢) فى أ - «الطريق».

(٣) السمائم: جمع سموم وهى الريح الحارة. وفى بعض الأصول: «وهج السمائم».

منها عند التوبة، فلاتقطع رجائى منك لما قدمت من اقتراف، وهب لى الإصلاح فى الولد، والأمن فى البلد، والعافية فى الجسد، إنك سميع مجيب».

(دعاء أعرابى)[1]

ياعماد من لاعماد له، وياركن من لاركن له، ويامجير الضعفاء[2] ويامنقذ الغرقى[3]، وياعظيم الرجاء، أنت الذى سبح لك سواد الليل وبياض النهار وضوءالقمر وشعاع الشمس، وحفيف الشجر ودوى الماء،يامحسن يامفضل، لاأسألك الخير بخير هو[4] عندى،ولكنى أسألك برحمتك فاجعل العافية لى شعاراً ودثاراً، وجنة دون كل بلاء».

(دعاء أعرابى)[5]

قال زيد بن عمر[6]: سمعت طاووساً يقول: بينا أنا بمكة إذ رفعت إلى الحجاج ابن يوسف، فثنى لى وساداً فجلست، فبينا نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابى فى الوادى رافعاً صوته بالتلبية».

فقال الحجاج: على بالملبى. فأتى به، فقال: ممن الرجل؟ قال: من أفناء الناس[7]، قال: ليس عن هذا سألتك، قال: نعم سألتنى؟: قال: من أى البلدان أنت؟ قال: من أهل اليمن».

قال له الحجاج: فكيف خلفت محمد بن يوسف، يعنى أخاه، وكان عامله على اليمن.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فى بعض الأصول «الضعفى».

(٣) وفى بعض الأصول: «الهلكى».

(٤) وفى بعض الأصول:« بخيرهم عندك».

(٥) المصدر السابق (العقد الفريد). .

(٦) فى بعض الأصول: «زيد بن عمرو».

(٧) أفناء الناس: «أخلاطهم».

قال خلفته جسيماً خراجاً، ولاجاً، قال ليس عن هذا سألتك، قال: فعم سألتنى؟ قال؟ كيف خلفت سيرته فى الناس؟ قال: خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق مطيعاً للمخلوق فازورّ من ذلك الحجاج وقال: ماأقدمك على هذا، وقد تعلم مكانه مني؟ فقال له الأعرابى: أفتراه بمكانه منك أعز منى بمكانى من الله تبارك وتعالى، وأنا وافد بيته وقاض دينه ومصدق نبيه ﷺ قال: فوجم لها الحجاج ولم يحر له جواباً حتى خرج الرجل بلا إذن.

قال طاووس: فتبعته حتى أتى الملتزم بأستار الكعبة،فقال: بك أعوذ، وإليك ألوذ، فاجعل لى فى اللهف إلي جوارك، الرضا بضمانك، مندوحة عن منع الباخلين، وغنى عما فى أيدى المستأثرين، اللهم عد بفرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة، قال طاووس: ثم اختفى فى الناس فألفيته بعرفات قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجى ونصبى وتعبى، فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته، فلا أعلم مصيبة أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروماً من سعة رحمتك.

وهكذا يظهر من خلال هذه الأدعية أثر البيئة العربية من حيث الفصاحة والبلاغة ورصانة اللفظ وبراعة الإستهلال وحسن التركيب وقوة الأسلوب وعذوبة المعنى وحسن العرض ودقة التعبير.. وجمال الأستشهاد وتعانق الجمل والكلمات.

كما تظهر أيضاً قوة الاستدلال المنطقى والحجة الواضحة والبراهين الساطعة وتطويع الكلمات الحاملة لأسمى المعانى وأعظم الأمانى.. وأشرف الأهداف والغايات.



الفصل الرابع

مدى ارتباط الإنسان بالدعاء

نفسيات الإنسان ومزاولته الدعاء فى جميع أحواله:

يشقق لنا القرآن دخائل النفس ومكنونات الضمير، وأحاديث القلب وهمسات الوجدان.. وتصل بنا آياته إلى الأعماق، فتظهر ماخفى، وتكشف عما استتر، وترينا ألواناً عدة وقطاعات النماذج نفسية..

وهاهى ذى آيات كريمة تصل بنا إلى أغوار النفس البشرية وتُلقى الضوء على أبعادها فتكشف أقطارها..

نفوس يحاط بها فتفر إلى الملجأ، وتفزع إلي الملاذ.. ثم إذا تبدد ما ران عليها نضبت عنها ثوب الخشوع .. وتنكرت وتنمرت.

ونفوس لاتفتر ولاتمل من طلب السعة ودوام النعم، وإمتداد أسباب الخير، وإذا مسها شر أو ضر أرتدت إلى دياجير الظلام وآضت إلى أغوار اليأس، وعادت إلى ضباب القنوط..

ونفوس غير هذه وتلك، مشرقة نيّرة، مع الله فى كل آن، دعاء وشكر في النعمة والنقمة.. لم يلوث صفاء قلوبهم حرمان، ولم يبطرهم جزيل سبب أو كثير عطاء..

يصور القرآن كل هذه الحالات النفسية، وينير لنا جوانبها، ويبين دخائلها فيقول: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

(١) يونس: ١٢.

فى هذه الآية يُخبر الحق تبارك وتعالى عن الإنسان وضــجره إذا مسّه الـشر (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) أى كثير وهما فى معنى واحد، وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها، وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله فى كشفها ورفعها عنه فى حال إضطجاعه وتعوده وقيامه وفى جميع أحواله، فإذا فرّج الله شدته، وكشف كُرْبته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ماكان به من ذلك شيء ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾[1]، ثم ذم تعالى من هذه صفته وطريقته فقال ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]. فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه مستثنى من ذلك كقوله تعالى:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[3]، وقول رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمنين لايقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضبراء فصبر كان خيراً له، وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمـؤمنين».

وعن أبى هريرة وسلمان رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكروب فليكثر الدعاء فى الرخاء»[4].

وقال رسول الله ﷺ: (تعرف إلي الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة).

وفى الأثر عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: (أدعُ الله تعالى يوم سرائك، يستجب لك يوم ضرائك)[5].

ويقدم لنا القرآن الكريم صورة أخرى من هذه النفسيات الإنسانية فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ

---

(١) ، ٢) : يونس: ١٢

(٣) هود: ١١

(٤) رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٥) أخرجه أبو الشيخ.

إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1].

قوم امتطوا ظهر السفينة للعمل أوالنزهة، فأخذت تشق بهم عباب الماء، وغرتهم صفحة البحر التى تنساب رقة وجمالاً.. هاهى السفينة تسرى وتجرى تسرى بمن فيها وتجرى بهم. تدفعها ريح طيبة تبعث البهجة والفرح فى النفوس.. وسرعان ماتلبد الجو واكفهر، وغضبت السماء، وأظلمت الدنيا، وعوت الرياح.. واهتزت السفينة فى يد الأمواج التى أحدقت بها من كل مكان.. وتبين لركاب السفينة نهايتهم المحتومة..ولاحت لهم الخاتمة.

ففزعوا إلى الله داعين إياه، مخلصين له فى التضرع والدعاء، إذ لاملجأ منه إلا إليه، وتضرعوا إليه بكيانهم، وعاهدوه قائلين ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ وحقق الله رجاءهم ودعاءهم فأنجاهم.. وما أن وطئت أقدامهم الأرض.. وأحسوا الأمان حتى عادوا سيرتهم الأولى، ورجعوا إلي ماكانوا عليه، ولم يفوا بالعهد، ولم يقوموا بالشكر،بل بغوا وطغوا وأفسدوا وجاروا.

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾[2] أى إنما يذوق وبال هذا البغى أنتم أنفسكم ولاتضرون أحداً غيركم.

ولبيان فظاعة البغى وأثره فى المجتمع نروى من الآثار مايوضح عظمة وسوء منقلب صاحبه..

* أخرج البيهقى فى الشعب عن أبى بكرة رضـى الله عنه قال: قال رسولالله ﷺ: «مامن ذنب أجدر أن يُعجل لصاحبه العقوبة من البغى وقطيعة الرحم».

---

(١) يونس: ٢١ ـ ٢٣.
(٢) يونس : ٢٣

* وأخرج أيضاً من طريق بلال بن أبى بردة عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال: «لايبغى على الناس إلا ولد بغى أو فيه عِرق منه».

* وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم، قالا: قال رسول الله ﷺ: «لوبغى جبل على جبل لدُك الباغى منهما».

* وأخرج أبو الشيخ وأبو نعيم والخطيب والديلمى وغيرهم عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث هن رواجع على أهلها المكر والنكث والبغى، ثم تلا عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾[1] ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾[2] ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[3].

وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين لأخيه:

ياصاحب البغى إن البغى مصرعه ... فاربع فخير فعال المرء أعدله

فلو بغى جبل يوماً على جبل ... لاندك منه أعاليه وأسفله

وعقد ذلك الشهاب فقال:

إن يعد ذو بغى عليك فخله ... وارقب زماناً لانتقام باغى

واحذر من البغى الوخيم فلو بغى ... جبل على جبل لدُك الباغى

ولعظم نتائج البغى السيئة فى المجتمع خاطب الله تعالى الناس جميعاً بخطاب يفهمهم فيه أن بغيهم على غيرهم إنما هو فى الحقيقة بغى على أنفسهم، وهذا البغى هو تمتع دنيوى فحسب.

---

(١) يونس : ٢٣

(٢) فاطر : ٤٣

(٣) الفتح: ١٠

قال تعالى: ﴿ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [التوبة: ٣٨] أى إنما لكم متاع فى الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ ﴾ [يونس: ٢٣] أى مصيركم ومآلكم ﴿ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٢٣] أى فنجبركم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها فمن وجد خيراً فلحيمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

التقلبات البشرية من خلال الأدعية الإنسانية فى القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) ﴾(١).

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾(٢).

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) ﴾(٣).

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١) ﴾(٤).

الإنسان طلبته النعيم، ومبتغاه الإكثار من الخير، يرنو تمتيع نفسه وحسه وجسده بألوان اللذائذ وأسباب النعيم، فإذا ماناله الخير استبشر وسعد وفرح

---

(١) الأنعام: ٦٣، ٦٤.
(٢) الإسراء: ٦٧-٦٩.
(٣) النحل: ٥٣، ٥٤.
(٤) هود: ٩ - ١١.

وتهلل، وأشاع الرضا والحبور فى نفسه، أما إذا مسه ـ فضلاً عن أن يتمكن منه ـ ضر أو شر أسودت الدنيا فى عينيه، وملأ اليأس قلبه، فهو يريد الحياة ضوءاً متلألئاً وسناً مشعاً لايشوبه ضعف أو خفوت، ويرغب فى كل شىء طامعاً أن يخلد له كل شىء.. وإلا فاليأس يملأ عليه الشعاب، ويسد المسالك.. فإذا ماعفت نعمة الله على آثار النقمة، ومكن الله له بتحقيق أمله، وإستجابة رجائه انتفخ وانتعش زاعماً أن مايرتع فيه من خصب وخير إنما مرده إلى جهود شخصية، وجهاده الفردى، وأنه استحق ماحصل عليه بفضل عمله وكده وجهده، ويغلو متخيلاً أن مكاسبه ستدوم، ومنجزاته ستبقى، ثم يسدر فى تعاليه مؤكداً أن سعيد الدنيا هو سعيد الآخرة، وأنه سيضم إلى مسامعه فى الدنيا، الحسنى عندما يرجع إلى ربه، والكرامة، وعلو القدر يوم الحساب..

قال تعالى: ﴿ **لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾** ﴾[1].

فهذه الآيات توضح لنا بجلاء رغبة الإنسان فى استجلابه الخير له ودفع الشر عنه، وتبين أن تمرد الإنسان على الدعاء فى السراء دليل على احتياجه إليه فى كل الأحايين لأن الامتناع عن الشىء يؤذن بصلاحيته في كل وقت.. فهو مُعْرِض عن الله فى سرائه، قنوط لحاح فى الدعاء فى ضرائه وذلك من صفات الإنسان وغرائزه.

ونستبين منها أيضاً إحدى الصفات السلبية فى الإنسان.. الطغيان.. إنها إحدى صفات النفس حين ينتابها شعور بالعظمة ويتملكها الإستبداد والظلم فتنحرف النفس إلى سلوك سلبى إذا ماأُنيط بها مسئولية أو أنعم الله عليها بوافر

---

(١) فصلت: ٤٩ ـ ٥١.

نعمته فتجنح هذه النفس ويتملكها الغرور والإستبداد معتقدة أن رحلة حياتها دائمة، وسطوة سلطانها قادرة غافلة عن قدرة الله ونعمه، ونفس الطاغى لاتبصر حقيقة الحياة؛ لأنها حُجبت بسُحُبْ شهوة السلطة والمال فأصبح الطاغية يعيش حياته فى حظيرة سلطته وأملاكه، تغلبه الأوهام وتهيىء له أن سلطانه دائم وماله لاينتهى.

و قد حذّر الحق الإنسان من الطغيان، وذكّره بأن مرجع الإنسان طال أمرة أم قصر هو إلى الله ثم يلقى ماقدمت يداه حاضراً فلا يُغنى عنه ماله ولاسلطانه فى شىء والأمر يومئذ لله.

قال تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨)** ﴾[١].

وقال الله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)** ﴾[٢].

يقول الإمام محمد عبده:[٣].

«وأنت ترى أن أحوال الناس إلى اليوم لاتزال كما ذكر الله فى هذه الآية الكريمة، فإن أرباب السُلطة والقوة يظنون أنهم فى أمن من عقاب الله ولايعرفون شيئاً من شرعه يمنعهم عملاً مماتسوق إليه شهواتهم وإنما يذكرون الله بألسنتهم ولايعرفون له سلطاناً على قلوبهم.

والفقراء الأذلاء قد صغرت نفوسهم عند أنفسهم، فهم لايبالون بما يفعلون، فإذا ذكروا الله فإنما هى حروف وأصوات ولاتمتاز فى منفعتها عن أصوات بقية العجماوات.

---

(١) العلق: ٦-٨.

(٢) الفجر: ١٦.

(٣) فى تفسيره لجزء عم ص ٨٢.

تلك حالة الإنسان الذى لم يمتّعه الله بعقل سليم ودين صحيح. أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة العقل والذين فأولئك الذين ترتقى إلى مثل حالهم مرتبة الإنسان فيفارقون تلك الغرائز الحيوانية الأولى ويعلون إلى المقام الذى لاتذهلهم فيه القوة، ولايشغلهم فيه الفقر عن مراعاة الحدود المعروفة فيما هو حق لهم أو عليهم، ومعنى هذه الآية يميل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾(١).

فالإنسان المؤمن لاتستخفيه عواصف الزمن، ولاتقلبات الدهر فهو فى مواجهة الشدائد صلب صابر واثق وراض بما قدر الله، وهو فى الرخاء كريم شاكر لله على ماأنعم .. ذلك أن نفس المؤمن تتذكر دائماً أن قوة الله فوق كل سلطان وهى مستيقنة أن الرزق كله من عند الله يهبه لمن يشاء من عباده، ويمنعه عمن يشا، ونفس المؤمن لاترى فى الغنى سوى غنى النفس بحب الله.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾(٢).

العجلة فى الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾(٣).

يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه فى بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أى بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحوذلك، فلو استجاب له ربه

(١) المعارج: ١٩ ـ ٢٥.
(٢) الجمعة: ٤.
(٣) الإسراء: ١١.

لهلك بدعائه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ [يونس: ١١]، وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾.

وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس هاهنا قصة آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائماً قبل أن تصل الروح إلي رجليه، وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت الروح إلى دماغه عطس فقال: الحمد لله، فقال الله: «يرحمك ربك ياآدم» فلما وصلت إلى عينيه فتحهما، فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه فهمّ بالنهوض قبل أن تصل الروح إلى رجليه فلم يستطع، وقال يارب عجل قبل الليل.

أما مايمكن استنتاجه من هذه الآية فقد ذكره الألوسى قال: وقد استدل بهذه الآية علي بعض الإحتمالات الواردة فى تفسيرها على المنع من دعاء الرجل على نفسه أو على أولاده أو على أهله، وقد جاء النهى عن ذلك صريحاً فى بعض الأخبار، فقد أخرج أبو داود والبزاز عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتدعو على أنفسكم، لاتدعوا على أولادكم، لاتدعوا على أموالكم، لئلا توافقوا من الله تعالى ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم».

ثم قال: وبهذا الحديث يرد على ماقيل من أن الدعاء بذلك لايُستجاب تفضلاً من الله وكرماً.. أما ماأخرجه الواقدى فى المغازى عن عائشة رضى الله عنها: «أن النبى ﷺ دخل عليها بأسير وقال لها: احتفظى به، قالت: فلهوت مع امرأة فخرج ولم أشعر، فدخل النبى ﷺ فسأل عنه فقلت: والله لاأدرى وغفلت عنه فخرج فقال: قطع الله يدك، ثم خرج عليه الصلاة والسلام فصاح به، فخرجوا فى طلبه حتى وجدوه، ثم دخل على فرأنى وأنا أُقلب يدى فقال: مالك؟ قلت انتظر دعوتك، فرفع يديه وقال: اللهم إنما أنا بشر آسف وأغضب كما يغضب البشر، فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه بدعوة فاجعلها له زكاة وطُهراً».

ثم قال الألوسى: أما دعاء النبى على أهله فكان من باب الزجر، وإن كان وقت الغضب، وقد اشترط ﷺ على ربه سبحانه وتعالى فى مثل ذلك أن يكون رحمة، فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: إنى اشترطت على ربى فقلت: إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتى بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاةً».

والمراد من قول الرسولﷺ «ليس لها بأهل» أي ليس لها بأهل عند الله،وفى باطن الأمر، ولكنه فى الظاهر مستوجب لذلك.

وقيل إن هذا الدعاء ومثله من الرسولﷺ ليس مقصوداً وإنما هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلا نيّة كتربت يمينك، لكن خاف ﷺ أن يصادف شيء من ذلك إجابة، فسأل ربه سبحانه وتعالى، ورغب إليه فى أن يجعل ذلك زكاة وقربة...

وقال الله تعالى: ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ** ﴾[2].

والعجلة لغة هى طلب الشيء متقدماً على وقته أى قبل أن يحين موعده.

* قال الأخفش: معنى ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾ أنه قيل له. كن فيكون.

* وقال الفراء: كأنه يقول بنيته وخلقته من العجلة وعلى العجلة.

* وقال الزجاج: خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذى يكثر من الشيء خُلقت منه، كما تقول لمن يلعب كثيراً: لقد خُلقت من اللعب،تريد المبالغة فى وصفه بذلك، ويدل على هذا المعنى ﴿ **وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً** ﴾.

* وقال أبوعبيدة وابن كثير: العَجَل هو الطين بلغة حمير وأنشدوا:

والنخل تنبت بين الماء والعجل

---

(١) الأنبياء: آية ٣٧.

(٢) يونس: ١١.

* وقال الشوكاني: أي جعل لفرط استعجاله كأنه مخلوق من العجل أي مطبوعاً على العجلة، ومن عجلته أن يسأل الشر كما يسأل الخير.

* وقال الألوسي: وكان الإنسان بحسب جبلته عجولا ضجراً لا يتأنى إلى أن يزول عنه مايعتريه، أي يسارع إلى طلب كل مايخطر بباله متعاميا عن ضرره أومبالغاً في العجلة، يستعجل الشر والعذاب وهو آتيه لامحالة، ففيه نوع تهكم به.

* وقال أبوعبيدة والنحاس: هذه الآية من المقلوب أي خُلق العجل من الإنسان.

إن الإنسان خُلق من عجل فكأنها هو، وكأنه هي، وذلك من قوة ملازمتها له واتصالها به، واستمرارها معه، وفي هذه الآية لمحة لطيفة تجدر الإشارة إليها وهي أن العجلة التي اتصف بها الإنسان في القرآن غالباً مقترنة بالدعاء، لم يتصف بها فحسب بل هو خُلق منها، فعجلته جزء من كيانه غير أنها لاتظهر غالباً إلا في الحالات الأسمى من شئونه، وهي تحصيل منافعه، واجتناب كل مايضره وماهذا إلا الدعاء بعينه!.

فهو خُلق من عجل، وكأن عجلته هذه لم تظهر ولم تستعمل إلا في الدعاء، فكأنه خُلق من الدعاء وللدعاء! ولذلك قال الإمام الشوكاني كأن الإنسان لفرط استعجاله مخلوق من العجل.. ولعل الحامل لكل هذا هو ماصوره الله تعالى في قوله: ﴿ **خُلِقَ الإنسَانُ مِنْ عَجَلٍ** ﴾[1].. وقد يصح القول بأن هذه الجملة نتيجة وسبباً.

ولكن إذا كان الإنسان محتاجاً إلى الدعاء في كل أحواله، فحاجته إلى ترك العجلة أشد، والعجلة من الشيطان إلا في خمس مواضع فإنها من سنن الرسول ﷺ وهي: إطعام الضيف إذا نزل، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البنت إذا بلغت وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا فرط.

والعَجَلة من السمات السلبية التي يتميز بها الإنسان، وهذه الصفة تدفعه دائماً ليتطلع إلى مابعد اللحظة القائمة يريد أن يمتد بصره طويلاً مابعد مدى البصر

(١) الأنبياء : ٣٧

محاولاً إختراق حجب الزمان ليقطف الثمار قبل الأوان وقديما قالت العرب: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه» ومن ثم فاللعجلة آثار سلبية لأنها توقع الإنسان فى أخطاء سلوكية وتحرفه عن تحقيق الهدف وتجعله يحيد عن التخطيط السليم المنظم المنضبط، ولها أخطاءفى مجال التفكير والتدبير، فقد يترتب عليها قرارات خاطئة، وفى مجال الإنفعالات والسلوكيات والعواطف الإنسانية لها آثار وتغيرات خطيرة، وقد ينتج عنها سلوكيات وانفعالات متطرفة أوحادة ممايترتب عليه عدوان أو ظلم ثم تصبح نهاية العجلة الندم.

وعلاج العجلة هو الإيمان بالله وقضائه وقدره وهذا يبعث الطمأنينة فى النفس. فالمؤمن عنوان سلوكه وانفعاله السكينة والوقار والهدوء، آمن مطمئن فى دعائه.. آمن مطمئن إلى قضاء الله وقدره، مستوثق بعُراه التى لاتنفصم، لايستعجل أمراً لأنه متيقن إن الأمر كله بيد الله يدبره كيف يشاء، ولا راد لإرادة الله.

يقول الرسول ﷺ: «مامن يوم تطلع شمسه إلا وتقول السماء: يارب ائذن لى أن أسقط كسفاً على ابن آدم فقد طعم خيرك، ومنع شرك.. وتقول الأرض: يارب ائذن لى أن أبتلع ابن آدم، فقد أكل خيرك، ومنع شكرك.. وتقول البحار: يارب إئذن لى أن أغرق ابن آدم، فقد أكل خيرك، ومنع شكرك، وتقول الجبال: يارب ائذن لى، أن أطبق على ابن آدم فقد أكل خيرك، ومنع شكرك .... فيقول الله لهم جميعاً: لو خلقتموه لرحمتموه، دعونى وعبادى.. إن تابوا إلىّ فأنا حبيبهم.. وإن لم يتوبوا، فأنا طبيبهم».

الفصل الخامس

التضامن الاجتماعى في الدعاء الإنسانى

لقد جاء الإسلام والناس فوضى لاضابط لهم، قد استبد بهم ماقوض حياتهم وعاق تقدمهم فشرع لهم من المبادىء والقيم والحقوق والواجبات مابه سعدت أمة العرب ومن دان بدينهم فى وقت قصير جداً من الزمن لاوزن له إذا ماقيس بحضارات الأمم.

لم يعتبر الإسلام أن الطعام والشراب مشكلة فى حد ذاتها كما ترى وزارات الشئون الاجتماعية بل نظر إليها من جهتين:

الجهة الأولى: أن الطعام والشراب مكفولان للجميع لمن آمن ولمن كفر وللإنسان وغ١يره من س١ائر المخلوقات لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾[1] حتى الطير لأنه يدب على الأرض للسقى والتقاط الحب.. فهذه قضية حل إشكالها بهذه الآية الكريمة.

كما حلت بآية أخرى فى سورة العنكبوت وهى قوله تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)** ﴾[2].

ولقد طمأن الله ابن آدم طمأنينة كاملة حيث أقسم له تعالى على ذلك فى سورة الذاريات حتى لايركب متون الخطر فى سبيل لقمة العيش فقال تعالى: ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)** ﴾[3].

---

(١) هود: ٦.

(٢) العنكبوت: ٦٠.

(٣) الذاريات: ٢٢.

فالله تعالى يقول للبشرية جمعاء أن رزقكم مكفول عندى وطعامكم وشرابكم واقع لامحالة وماينبغى أن تشكوا فى ذلك فكما تتيقنون نطقكم فكذلك لاتشكون فى رزقكم.

أما مايراه البعض من أن بعض الخلق يموت جوعاً فمرد، أمران اثنان هما:

١- سوء التوزيع المالى بين الناس.

٢- ومعاصيهم التى يمتحنون بالبلاء من أجلها فيصيبهم الجوع والعرى. لقوله تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾** ﴾(١) حتى من دقة القرآن أنه عبر عن هذا بالبعضية فقال: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ** ﴾ .. إلخ. أى ببعض هذه الأمور للاعتبار والعظة والرجوع إلينا ولم يهدف القرآن إلى الحرمان الكامل بل ابتلى عقوبة واختباراً وفتحاً لباب التوبة ونشر التعاون بين الناس حتى يمد القوى الغنى الفقير باحتياجاته.. فالإصابة بالجوع والعطش لاتتخلف كفالة الله بأرزاق العباد بل للإختبار والبلاء وفتح المجال للعودة إلى الله تعالى، وحث الهمم الصادقة من المسلمين لمساعدة إخوانهم البؤساء والمحرومين.

الجهة الثانية: هى أن الإسلام فرض حقاً معلوماً من أموال الأغنياء لفقرائهم فإن لم يف بحاجاتهم فعلى الحاكم أن يأخذ من فاضل أموالهم ليردها عليهم وليسد به عوزهم.

الإسلام ومشاكل الإنسان الحقيقية

لهذا لم ير الإسلام أن مشكلة الإنسان هى طعامه وشرابه بل مشاكله الحقيقية غيرذلك. وأهمها مايلى:

١- مشكلة العقيدة. ٢- الأخلاق. ٣- السلوك. ٤- الجنس.

٥- الفكر والعقل. ٦- النفس. ٧- الأنانية. ٨- الاقتصاد.

١- أما مشكلة العقيدة: فقد حلها بأيسر طريق ذلكم العربى الذى لم يتخرج من جامعاتنا المعاصرة حيث قال: البعرة تدل على البعير والسير يدل على

---

(٢) البقرة: ١٥٥.

المسير.. إلخ وقال القرآن الكريم: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴿١٨﴾ ﴾[1].

وآيات الوحدانية وصفاته وأفعاله تعالى منبثة بكثرة فى القرآن الكريم، كما أن السنة النبوية مليئة بذلك كاشفة وموضحة.. والبراهين العقلية والنقلية زاخرة أيضاً.

٢- المشكلة الأخلاقية: لقد وضع الإسلام من قواعد الأخلاق ماعجزت عنه عباقرته أن يصلوا إلى ماوصل إليه ويكفى أن نذكر حديث رسول ﷺ القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فقد حثت الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة على الصدق والأمانة والعفة والشرف وعلى كل خلق كريم من شأنه أن يساعد المجتمع الإسلامى على أن يعيش فى سعادة وارفة الظلال..

٣- المشكلة السلوكية: رأى الإسلام أن النظريات الأخلاقية التى أمر بها المسلمين وحثهم على التحلى بها والتمسك بأهدافها لايقطفون ثمارها إلا إذا نفذوها وجعلوها سلوكهم فى الحياة مع كل كائن، لأن العبرة بالعمل لا بالقول، وبالتطبيق لابالكلمات والألفاظ، ولذلك قال الله تعالى فى شأن رسوله ﷺ: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴿٢١﴾ ﴾[2].

ولهذا فالإسلام يطالبنا بالتطبيق العملى لكل نظرية أخلاقية وردت فى القرآن والسنة.

٤- المشكلة الجنسية: هى من أهم مشاكل المجتمعات المعاصرة ولقد كانت النظم القديمة والتقاليد والعادات المستحدثة والمستوردة عقبة كئود فى حل هذه المشكلة بل ساهمت بنصيب أوفر فى تعقيدها فرفع سن الزواج للذكور والإناث كان سبباً مهماً للإنحراف الجنسى، ولقد ساعدت على ذلك وسائل الإعلام المسموعة والمقرونة بما تحمل من دعوة إلى الجنس بتصويره فى أشكال متعددة وتيسيره والتشجيع عليه.

---

(١) آل عمران: ١٨.
(٢) الأحزاب: ٢١.

وزاد الطين بلة توظيف النساء مما دعى إلى تأخر الزواج حتى التخرج من الكليات وإعداد السكن المناسب والأثاث الحديث الجميل وهلم جرا.. حتى أصبحت الفتاة تعرف كل شيء عن الجنس حيث جاوز بعضهن الثلاثين عاماً أى كانت صالحة للزواج منذ خمسة عشر عاماً فكيف قضت هذا الوقت الطويل وهى فى سن المراهقة الجنسية.

لقد عالج الإسلام مشكلات الجنس بأكثر من طريق بإعداد الفتاة إعداداً صالحاً لتكون زوجة وأما وربة بيت ممتازة وصانها من ذئاب البشرية ففرض عليها الحجاب وستر جميع بدنها إلا الوجه والكفين وأمرها بغض بصرها والبعد عن الإختلاط بغير المحارم وبالمحارم إن كان غير مرضى السلوك والأخلاق، وأمرها بعدم الخروج من الدار إلا للضرورة وليست الوظيفة ضرورة لأن المرأة ماخلقت لتسعى على لقمة عيشها أو لتنفق على غيرها فضلاً عن نفسها بل النفقة واجبة على غيرها من الرجال ممن تحملوا مسئولياتها.

كما عالج الإسلام مشكلة الجنس بالصوم والرياضة البدنية، وهكذا وضع الإسلام قواعد متينة ونقية للحفاظ على عِرضْ المرأة كما وضع قواعد تنظيمه..

وأن الكلام فى هذا الموضوع يطول شرحه والمقام لايتسع لهذا..

٥- المشكلة الثقافية: مشكلة الفكر والعقل حرص الإسلام أن يجعل مصدرها القرآن والسنة وسير الصالحين من عباد الله، وحث العقل والفكر بالتزود من فضائل النظريات ومكارم القضايا الأخلاقية، ومدح الإسلام العقلاء وأولى الألباب الذين يشحنون عقولهم بالمعارف والثقافات النافعة لهم ولدينهم وأوطانهم ويبتعدون عن الخرافات والعقائد الفاسدة والمعارف المبتذلة الرخيصة الهادفة إلى الجنس والجريمة وسوء الخلق وهدد الله اللسان بقوله: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴿١٨﴾﴾[1].

وامتدح أولى الألباب قائلاً ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴿١٩٠﴾﴾[2] وذم الكفار فقال: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ**

---

(١) ق: ١٨.

(٢) آل عمران: ١٩٠

بهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(1).

٦- مشكلة النفس: لقد امتلأت المستشفيات والمصحات بمرضى الأمراض العصبية والنفسية ولعل السبب فى هذا الحياة العصرية التى نعيشها اليوم بكل مافيها من تحلل وانحراف.. وما العلاج منها إلا بالعودة إلى رحاب الإسلام والتزود بثقافة القرآن الذى قال الله فيه: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا** ﴿٨٢﴾ ﴾(2).. فللوقاية من العقد النفسية وللتقليل منها بل وإزالتها لابد من ملء هذه النفس بالآيات القرآنية والعمل على تلاوتها وتكرارها فى الصباح والمساء وعلى ضوء هذا بمشيئة الله يزول كل فكر سقيم وألم نفسى وتعود الروح لصفائها والنفس لفطرتها النقية الطاهرة لقول الله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴿٩﴾ ﴾(3).. وبالتقوى والإستقامة يجعل الله للمرء مخرجاً من كل مايضايقه سواء كانت مضايقات نفسية أو غير نفسية لقوله تعالــى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾(4)... الآية.

٧- مشكلة حب النفس: هذه المشكلة من المشاكل الهامة التى قد تكون سبباً لتقدم الإنسان وازدهار وطنه إن دخلت من باب التنافس وإلا فذلكم الحب الممقوت والأنانية البغيضة حيث أن الأنانى الذى يحب نفسه يرى كل الخير لها لالغيرها، ولذلك حث القرآن على نبذ هذه الصفة وطرحها خلف الظهور حتى لاتحطم صاحبها أولاً والأسرة ثانياً والمجتمع ثالثاً..

ولهذا كله قال المصطفى ﷺ: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه».

٨- مشكلة الإقتصاد: دعا القرآن إلى الأخذ بمبدأ الإقتصاد فى كل شئون الحياة فلا تبذير ولاتقير.. فقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴿٢٩﴾ ﴾(5).. وقال جل شأنه ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾(6).

---

(١) الأعراف: ١٧٩.
(٢) الإسراء: ٨٢.
(٣) الشمس: ٩.
(٤) الطلاق: ٢.
(٥) الإسراء: ٢٩.
(٦) الأعراف: ٣١.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1].

ومشكلة السياسة والإسكان والمواصلات وزيادة المواليد وغيرها قد جعل الإسلام لها حلاً ميسوراً فى كلمات معدودة ألا وهى التحلى بالتقوى ـ والإيمان ـ والتوكل ـ والاعتماد على الله ـ والإخلاص ـ والإتقان. . إلخ.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[2] . . ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[3] هذه المشكلات سابقة الذكر وغيرها لوتركت على عواهنها دون علاج بتعاليم الإسلام قد تؤدى إلى أوخم العواقب وأسوأ النتائج. . وأى علاج بعيد عن نطاق القرآن والسنة الشريفة فهو داء الأدواء وسم زعاف يفتك بالمريض يدل على أن يشفيه ويبرئه.

ومن خلال هذه المشكلات يتأتى التعاون الذى أمرنا الله فى قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[4].

وأى مشكلة من هذه المشاكل حلها يتوقف على أحد أمرين أوهما معاً: الحل الوقائى والحل العلاجى. . أما الحل الوقائى: فيكون بتقديم النصيحة والإرشاد والتوجيه للإبتعاد أولاً عن كل مايسبب المشكلة ويوجدها. . وقد يكون من طرقه تقديم المساعدات المالية والعينية. . والحل العلاجى: يكون بالعمل الجاد المتواصل سواء كان بالمجهود المالى أو اليدوى أو الثقافى. . وعلى كل حال فمجال التعاون بين الناس واسع ومتعدد الجوانب والأبواب. . يشمل الإبتسامة والكلمة الطيبة والنصيحة المخلصة والقول الصادق والحسب والنسب والجاه والسلطان والمال والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإنذار والتبشير والتفاؤل والتحذير وغير ذلك مما يعود على الفرد والجماعة بالخير. . وقد يكون كل ذلك ميسر صدوره من إنسان، وقد لايتأتى إلا بعضه، وقد لاتساعد الظروف. . فى تحقيق شىء منه.

قد يقوم الإنسان فى مجال التعاون بشىء مماسبق غير أنه قد يتحقق هدفه منه وقد لايتحقق إلا أن هناك نوعاً من التعاون البناء سهل ميسور على كل إنسان لايحتاج إلى جهد عقلى ولاجسمى ولامادى هذا بالإضافة إلى أنه محمود العواقب مضمون النتائج هذا النوع هو المسمى «بالدعاء».

(١) الطلاق: ٣.
(٢) البقرة: ٢٨٢.
(٣، ٤) الطلاق: ٤.

أهمية الدعاء فى حياة الإنسان وأثره فى المجتمع

الدعاء: هو أرقى أنواع التعاون لأنه أفضل أنواع العبادة ولأنه أضمن الأعمال نتيجة وأقرب الطرق إلى الهدف المنشود.. فهو عنصر فعال فى يد كل راغب فيه، وهوسلاح فتاك لمن استعمله ضد الأعداء لم يطلب الله من عباده الوساطة إذا دعوه أو ناجوه.

والدعاء: ماهو إلا كلمات تخرج من القلب ثم تجرى على اللسان لايبغى بها صاحبها إلا الخير لمن رصدت له فتستجيب السماء لذلك الداعى لغيره المخلص لخلصائه الوفى لخلانه الحميم لأصدقائه.

فالدعاء دعامة قوية لتوطيد أواصر المحبة بين أفراد المجتمع وتوسيع دائرة الأخاء بين الناس وتعميق جذور الود والصفاء لدى نفوس الجميع..وقد لايكون الداعى عنده المال الكافى ولا الثقافة المطلوبة ولا الحسب ولا النسب فهل يموت وتموت معه آماله، وهل من الخير أن يصبح عضواً أشل فى المجتمع لايستطيع القيام بواجبه ولايستطيع حراكاً إزاء مشاكله ومشاكل مجتمعه ووطنه وبنى جلدته..؟!

إن كان الإنسان لايستطيع أن يقدم أى عون لأخيه الإنسان لفقدانه كل هذا أو بعضه فإن الدعاء يناديه بأعلى صوت هلم إلى أيها الإنسان فكل رغباتك أحققها لك وماتبتغيه أنفذه لك وما عليك إلا أن تستوفى شرائطى وتتجه إلى الله بلسان الصدق داعياً لمن أردت مساعدته فى أى نوع من أنواع المساعدة أفعل ذلك تجدنى معك دائماً أبداً لاأنسل منك ولاأبعد عنك أنا قريب منك جار على لسانك وشفتيك.. فإذا ما تم ذلك تقبلنى الله وحقق لك ماتريد لنفسك ولمن دعوت له.

وكما صح وجاز أن ينتفع الإنسان بكل خير ومجهود يقدمه للغير فمن باب أولى أن ينتفع ذلك الغير بالدعاء خصوصاً إذا كان للأخ بظاهر الغيب.

فالدعاء خير وسيلة للتكافل الإجتماعى، وأعظم هدية يقدمها الإنسان لأخيه الإنسان،وبالرغم من عظم شأنه ورفعة مكانه عند الله فهو لايكلف الداعى شيئاً لأنه لايرتكز على الحسب والنسب والوساطة والجاه بل هو لاسلكى كل حى، حيث يتصل العبد بربه لشأن من شئونه أو شئون غيره من بنى عقيدته ووطنه

فلاينتظر تحويلة المكالمة باليوم أو الساعات.. بل حينما يقول العبد يارب يقول الرب لبيك عبدى وسعديك فما أسرع هذا الإتصال ومأأمضى هذا السلاح وما أنجع هذا الدواء وما أنفع هذا الشفاء من كل داء أنه الدعاء مخ العبادة وسلاح المؤمن.

والدعاء بهذه الصورة منفعة متبادلة مأمونة العواقب مضمونة النتائج، عملة صعبة كما يقول اقتصاديو هذا العصر.

ولذلك لم توضع له شروط شاقة ولاقواعد جافة لقبوله وتحقيقه سوى الصدق والإخلاص وماشابه ذلك من الشروط التى لاتكلف الداعى مالا أو جهداً.

فيجوز الدعاء من الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والمؤمن والكافر والصالح والطالح والحر والعبد والمعصوم وغير المعصوم والعربى والأعجمى والأبيض والزنجى والموحد والملحد.. إذ الدعاء مناط بنفس عاقلة مفكرة ناطقة تستطيع العطاء والمنع ولايكون ذلك إلا فى نسل ابن آدم وقليل من الجن والملائكة.

الدعاء مفتاح السعاده وأفضل صور التضامن الاجتماعى والتكافل الإنسانى

فلايترك ابن آدم طريقاً يؤدى به إلى السعادة إلا ودعا الله أن يحققه له ويمنحه إياه ويديمه عليه.

والإنسان هو المخلوق الوحيد الذى استخلفه الله فى أرضه ليقيم شرعه وينشر عدله فجعله ظله فى خلقه فطوع له الحياة بما منحه من نعمة العقل غير أن هذه الحياة من شأنها لم تدم لأى إنسان بل أيامها قلب حيث يتصارع خيرها مع شرها وظلامها مع نورها، وصفوها مع كدرها والإنسان بين رحاها فتارة تكفهر فى وجهه فيبدو هزيلاً ضعيفاً مشدوهاً لايستطيع حراكا ولاهرباً من قسوة مانزل، وعظم ماحل به فيجأر إلى الله ضارعاً كسير الفؤاد دامع العين آملاً معه أن يرفع عنه ماحل به من بلاء .. وتارة تنفتح أسارير الدنيا لهذا العبد فيهش لها ويأمل منها تحقيق آماله وأحلامه راغباً فى حياة سعيدة بمافيها من معنى السعادة..

فيبذل ذلك المسكين جهده ويفرغ طاقته فى الحصول على ذلك أو بعضه غير أنه يكتشف من نفسه العجز وعدم القدرة على الإنجاز ويظهر له جلياً أنه غير قادر على التنفيذ وغير مستطيع إلى الوصول فيتجه إلى الكريم الذى لاتنفذ خزائنه يرجوه العطاء والسعة بكرم وسخاء يليق بذاته الطاهرة وتزداد نفس ذلك صفاءً وطهراً وشفافية فيتمثل له المستقبل البعيد قريباً، يتمثل له اليوم الآخر أنه قاب قوسين أو أدنى. ذلك اليوم الذى سوف يلقاه بماقدم من عمل فيرفع أكف الضراعة إلى خالقه ليجنبه العذابين، عذاب القبر وعذاب النار، ويزيل عنه ما يعترى العباد من شدة وكرب فى مواقف البعث والحشر والحساب وأن يمن عليه بالصفح والعفو والمغفرة وواسع الرحمة فيدخله الجنة التى أعدها لعبادة المتقين.

وكما يلقى الفرد الشدائد والصعاب فى حياته الدنيا ثم يطلب الغوث والنجدة من الله فكذلك الجماعة حينما تستهدفها المحن والبلايا تجأر إلى الله ليصرف عنها السوء.

ومن أجمل وأعظم مايراه المسلم من خلال الأدعية الواردة فى القرآن والسُّنة مجيئها على صورة الجمع، ومما نلاحظه أيضاً فيها أنها غيرمنسوبة لقائل وهذا مما يرفع مكانة هذه الأدعية ويُعلى قدرها كما يوحى بأن الآمر بها هو الله تعالى فكانت فى الدرجة العليا من القبول.. انظر قول الله تعالى فى سورة الفاتحة:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[١].

نجدها قد صيغت بصورة الجمع ولم تنسب لقائل ممايدفع المرء إلى الإعتقاد بأنها من وحى الله الذى أمر العباد بترديده صباح مساء لتدوم الصلة بين العبد وربه داعياً متضرعاً ولذا جاءت فى سورة الفاتحة التى لاتصح الصلاة بدونها.

وانظر قوله تعالى أيضاً فى آخر سورة البقرة: **﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[٢].

---

(١) الفاتحة: ٦، ٧.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

نجد أن هذا الدعاء غير منسوب إلى قائل من البشر وإنما هو دعاء تعبد الله به عباده أن يرددوه فتزدان به نفوسهم وتطمئن به قلوبهم، وتسود روح المحبة والإخاء بينهم.

وإنك لتجد الكثير من أدعية القرآن الكريم على هذه الصورة وإن تعجب فاعجب لسلوك السنّة هذا المسلك ومطابقتها القرآن الكريم فى هذا المضمار حيث ترى أن معظم أحاديث الرسول ﷺ فى صورة الجمع.. ففى مقام الحرب يروى أبو موسى الأشعرى أن النبى ﷺ «كان إذا خاف قوماً قال: إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»[1].

ويروى جابر عن الرسول ﷺ أنه قال: «لاتتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون ماتبتلون به منهم فإذا لقيتموهم فقولوا: أنت ربنا وربهم، وقلوبهم بيدك وإنما تغلبهم أنت»[2].

وحين خرج رسول الله ﷺ يتفقد أحوال المهاجرين والأنصار عند حفر الخندق، فرآهم يحفرون فى غداة باردة، فلما رأى مابهم من النصب والجوع قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة.. فاغفر للأنصار والمهاجرة».

ولقد سلك الإسلام بقرآنه وسُنته هذا المسلك الجماعى فى الدعاء لكى يعرف المسلم أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، وأنه لا حياة للأفراد إلا فى نطاق الجماعة، ولقد خلق الله الذكر والأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا فيتعاونوا فيثمروا فتستقيم الحياة وينعم الجميع، وترفرف السعادة ورايات الأخوة الصادقة على الجميع ومن أجل هذا جاء الدعاء بصورته هذه ليعيش المسلمون حياةً سعيدة وارفة الظلال.

والإسلام الحنيف عقد بين المؤمنين عامة عقد الأخوة الذى نقلهم إلى دائرة الأسرة الواحدة على تنائى ديارهم وتباعد أقطارهم قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾[3].. وبالغ فى محبة المسلمين بعضهم لبعض حتى جعلها شرطاً فى الإيمان فقال ﷺ: «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا».

---

(1) رواه أبو داود والنسائى.

(2) رواه ابن السُّنى.

(3) الحجرات: ١٠.

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن الإسلام دعا أتباعه المسلمين لأن يدعو بعضهم لبعض بالخير فى كل مناسبة طيبة وعند كل لقاء وبخاصته فى أزمان البر وأماكن الطهر بل حثهم على الدعاء لإخوانهم بظهر الغيب أى وهم غائبون عنهم.

انظر إلى قول الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[١].. فهذه الآية تعليم للمسلمين الذين عايشوا الحياة بعد المهاجرين والأنصارأن يرفعوا أكف الضراعة بالدعاء لهم وهو وإن كان تعليم للتابعين فهو أيضاً لكل مسلم أن يدعو به أى يدعو لنفسه أولاً ثم يدعو لمن سبقه إلى دار الآخرة فأفاد هذا الدعاء «فضلاً عن كونه تعليماً» الإعجاز لإخباره عن مغيب سيقع بعد نزوله وقد ثبت ذلك بتلاوة المسلمين لهذه الآية وبدعائهم لمن سبقوهم جميعا فى أدعيتهم الخاصة.

فهذه الآية تشعرنا بأن نطلب المغفرة لمن سبقنا بالإيمان إلى عالم الآخرة كما تعلمنا الرجاء من الله أن يزيل مافى نفوسنا وقلوبنا من غلّ لإخواننا الذين هم على قيد الحياة. وهكذا يُعلم القرآن كل جيل من الأجيال المسلمة الدعاء لنفسه ولمن سبقه ولمن عاصره من المسلمين.

ولقد ضربت السنة المحمدية بسهم وافر فى هذا المضمار، فعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل مادعوت»[٢].

وبهذا نستطيع القول بأن الدعاء يشق طريقه إلى الأفراد ليجمع صفوفها، ويوحد خطوها، ويحدد هدفها، فإن دعوة الأخ لأخيه أجمل هدية يهديها إليه لأنه يُذهب بها وغر صدره ويجلب له بها المسرة، ويوطد بها أواصر المحبة، وينمى بينهما روح التضحية، ويغرس شجرة الصفاء والإخاء والتعاون بين الجميع.

فالدعاء هو أفضل صور التضامن الإجتماعى والتكافل الإنسانى بما يحمل فى طياته من معانى الحب وتنمية أواصر الإخاء بين مختلف بنى البشر.

---

(١) الحشر: ١٠.

(٢) رواه مسلم، وأخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسى الحافظ فى مستخرجه.

الفصل السادس

الدعاء عند مقابر الصالحين

روى أبو على الموصلى بسنده حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يزيد بن الحباب حدثنا جعفر بن ابراهيم «من ولد ذى الجناحين» حدثنا على بن عمر عن أبيه عن على بن الحسن«أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجه كانت عند قبر النبى ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه. فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن النبى ﷺ؟ قال: لاتتخذوا قبرى عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم»[1].

وروى الترمذى عن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره أن توطأ القبور إعظاماً للمسلمين وإكراماً لهم، ويكره أن تتخذ القبور مسجداً وقِبْلَة يُصلى إليها. وقد جاء على لسان النبى ﷺ مايدل على أن بنى إسرائيل بلغوا فى ذلك كله القدح المعلى «لعن الله بنى إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» والأصل فى عبادة الأصنام أنها كانت هكذا.

رأى له مؤيدوه[2]:

فكثيراً مايضمر الإنسان فى نفسه أمراً وهو لايشعر به، وكثيراً ماتشتمل نفسه على عقيدة خفيه لايحس باشتمال نفسه عليها ولاأرى مثلاً لذلك أقرب من المسلمين الذين يلتجئون فى حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور، ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود، فإذا عتب عليهم فى ذلك عاتب قالوا إنا لانعبدهم وإنما نتوسل بهم إلى الله، كأهم لايشعرون أن العبادة ماهم فيه، وإن أكبر مظهر

---

(١) وأخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسى الحافظ فى مستخرجه.

(٢) د. موسى الخطيب.

لألوهية الإله المعبود أن يقف عباده بين يديه ضارعين خاشعين يلتمسون إمداده ومعونتهم، فهم فى الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لايشعرون.

وقال الإمام العلامة مولانا الألوسي «قدس سره» في تفسيره روح المعانى عند قوله تعالى فى سورة يونس: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين﴾[1] «وأيا ماكان فالآية دالة على أن المشركين لايدعون غيره تعالى فى تلك الحالة، وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمرخطير وخطب جسيم فى بر أو بحر دعوا من لايضر ولا ينفع ولايرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر وإلياس، ومنهم من ينادى أبا الخميس والعباس، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة، ولاترى أحداً فيهم إلا القليل يخص مولاه بتضرعه ودعاه، ولايكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال، فبالله تعالى أى الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلاً، وأى الداعين أقوم قيلاً، وإلى الله سبحانه المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة وغرقت سفينة الشريعة، واتخذت الإستعانة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف، وحالت دون النهى عن المنكر صنوف الخوف» انتهى

وحديث ابن عباس[2] وإذا استعنت فاستعن بالله، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[3] الآية . . وقوله تعالى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[4] انتهى.

---

(١) يونس: ٢٢. .

(٢) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال: «ياغلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف» «رواه الترمذي وقال: حديث صحيح».

(٣) الزمر: ٤٥. .

(٤) الإسراء: ١١٠.

وقال الإمام زين العابدين السّجاد: «كيف يسأل محتاج محتاجاً» وقال الإمام الغزالى: «المؤمن لايجعل بينه وبين الله تعالى وسائط فى الطلب» قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[1].

لقد جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين ويغرس فى قلوبهم الشرف والعزة والأنفة والحمية وليعتق رقابهم من رق العبودية فلا يذل صغيرهم لكبيرهم ولايهاب ضعيفهم قويهم، ولايكون لذى سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين فى العصور الأولى،فكانوا ذوى أنفة وعزة وإباء وغيرة، يضربون على يد الظالم إذا ظلم، ويقولون للسلطان إذا جاوز حده فى سلطانه قف مكانك، ولاتغلُ فى تقدير مقدار نفسك، فإنما أنت عبد مخلوق لاربٌ معبود، واعلم أنه لاإله إلا الله.

هذه صورة من صور نفوس المسلمين فى عصر التوحيد، أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ماداخلها من الشرك الباطن تارة، والظاهر أخرى فقد ذلت رقابهم، وخفقت رؤوسهم، وضرعت نفوسهم، وفترت حميتهم، فرضوا بخطة الخسف، واستناموا إلى المنزلة الدنيا فوجد أعداؤهم السبيل إليهم، فغلبوهم على أمرهم، وملكوا عليهم نفوسهم وأموالهم ومواطنهم وديارهم فأصبحوا من الخاسرين.

والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم، من سعادة الحياة وهناءتها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ماأضاعوه من عقيدة التوحيد.

إن الله أغيرعلى نفسه من أن يسعد أقواماً يزدرونه ويحتقرونه، ويتخذونه وراءهم ظهرياً، فإذا نزلت بهم جائحة، أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحجر قبل أن يذكروه، ونادوا الجذع قبل أن ينادوه!

---

(١) ق: ١٦

ثم تعال معى نتأمل سوياً قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[1].

وقوله مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[2] وقوله على لسان نبيه ﷺ: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾[3].

فهل يكون الأولياء.. أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين؟! هل تعلم أن النبى ﷺ حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل نهى عنها عبثاً ولعباً، أم مخافة أن تعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى! وأى فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور، مادام كل منها يجر إلى الشرك ويفسد عقيدة التوحيد؟!

حوار لابد منه[4]:

قال صاحبى: على رسلك ياأخى.. لماذا كل هذا؟

قلت: وهل بعد هذا بيان؟

قال: أنا لست معك فيما تقول.. بل إنى أخالفك الرأى فيما ذهبت إليه وقد عودتنا أن تقول الرأى وتستمع إلى الرأى الآخر.. فهل عندك مانع من أن تسمع وجهة نظرى.. **قلت:** لابأس.. أسمع.

قال: أخرج الديلمى قوله ﷺ: «من أراد التوسل بى وأن يكون له عندى يد أشفع بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى ويُدخل السرور عليهم»، وأخرج الإمام أحمد أن النبى ﷺ أخذ بيدى الحسن والحسين وقال: «من أحبنى وأحب هذين وأمهما وأباهما كان معى فى درجتى يوم القيامة» وقال ﷺ: «حُسين منى وأنا من حُسين، اللهم أحب من أحب حسيناً، حُسين سبط من الأسباط».

---

(١) النمل: ٦٥.

(٢) الأنفال: ١٧.

(٣) الاعرف: ١٨٨.

(٤) كاتب الحوار: الدكتور موسى الخطيب

وأخرج ابن النجار فى تاريخه أن النبى ﷺ قال: «لكل شىء أساس وأساس الإسلام حب رسول الله ﷺ وحُب أهل بيته».

وقال ﷺ: «أهل بيتى أمان لأمتى».

وأخرج الديلمى: «أثبتكم على الصراط أشدكم حُباً لأهل بيتى وأصحابى». . وعن على كرم الله وجهه: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال. . حُب نبيكم، وحُب أهل بيته، وقراءة القرآن».

قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1].

قلت: الحق فى تفسير هذه الآية هو مافسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كما رواه عنه البخارى قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاووساً يحدث عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد. فقال ابن عباس: عجلت إن النبى ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تَصِلوا مابينى وبينكم من القرابة[2].

لقد كان للنبى ﷺ قرابة فى جميع بطون قريش ولماأرسله ربه وكذبوه وآذوه أمره سبحانه أن يقول لهم:

ياقوم إن رفضتم الإيمان برسالتى فلا أطلب منكم إلا أن تكفوا إيذاءكم عنى، وتتركونى وشأنى مع غيركم، مراعين بذلك حق القرابة وصلة الرحم التى بيني وبينكم، فلا تؤذونى ولايصح أن يكون غيركم من العرب أحفظ لكرامتى منكم، ولاننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهممن ذرية طاهرة من أشرف بيت وُجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً

---

(١) الشورى: ٢٣

(٢) تفرد به البخارى.

ولاسيما إذا كانوا متبعين للسُنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعليّ وأهل بيته وذريته رضى الله عنهم أجمعين[1].

قال صاحبى: اعلم يا أخى أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف فى الكون بالمنع والإعطاء، وما الخلق من ملائكة وأنبياء وأولياء إلا وسائط وأسباب قد يجرى الله تعالى الخير على أيديهم من غير أن يكون لهم فى ذلك إيجاد ولاتأثير.

ولقد جاء فى بعض أحاديث الإسراء: أنه ﷺ لما أُسرى به وهو راكب البراق وبصحبته جبريل عليه السلام، سار حتى بلغوا أرضاً ذات نخل، فقال له جبريل: انزل فصل هنا، قال: فصليت ثم ركب وقال جبريل أتدرى أين صليت قلت: لا. قال: صليت بطيبة وإليها المهاجرة، فانطلق به البراق، فقال له جبريل: انزل فصل، قال: فصليت، فقال: أتدرى أين صليت قلت: لا، فقال: صليت بطور سيناء عند شجرة موسى حيث كلّمه ربه،ثم انطلق به البراق فقال له: انزل فصل،قال: فصليت، فقال: أتدرى أين صليت قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم «إلى آخر ماجاء فى الحديث» الذى ورد بروايات.

فيؤخذ من هنا أن كل موضع وأثر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصلى فيه ويتبرك به ويحترم خصوصاً ماينسب لنبينا الكريم سيدنا محمد ﷺ الذى نحن من أمته ولله الحمد.

تبّرك الصحابة بآثار الرسول ﷺ :

ولقد حرص أصحاب الرسول ﷺ على آثاره الشريفة وكانوا يتبركون بها حتى أنهم كادوا يقتتلون على ما يتقاطر من أعضائه عليه الصلاة والسلام من الماء إذا توضأ وهو يرى ذلك ويقرهم عليه فكان ذلك دليلاً على جواز التبرك به شرعاً.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

روى الشيخان فى صحيحهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال: كنت عند النبى ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبى ﷺ أعرابى: فقال: ألا تنجز لى ماوعدتنى، فقال له أبشر، فقال قد أكثرت على من أبشر فأقبل على أبى موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: «رد البشرى فاقبلا أنتما».. قالا: قبلنا ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه ومج فيه، ثم قال: إشربا منه وافرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمةمن وراء الستر أن أفضلا لأمكما فأفضلا لها منه طائفة[1].

وأخرج البخارى فى صحيحه فى «باب خاتم النبوة» بإسناده إلى الجعيد بن عبد الرحمن قال سمعت السائب بن يزيد قال: ذهبت بى خالتى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إن ابن أختى وقع فمسح رأسى ودعا لى بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه.. إلخ.

وأخرج البخارى فى كتاب اللباس بإسناده إلى أبى جحيفة قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى قبة حمراء من آدم «جلد» ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبى ﷺ والناس يبتدرون الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه للتبرك به لكونه مس جسده الشريف ﷺ.

وفى الصحيح أنه ﷺ كان إذا حلق دفع شعره إلى بعض أصحابه. كأبى طلحة الأنصارى ليفرقه على أصحابه للتبرك به.

التبرك بآثاره ﷺ كان أمراً شائعاً بين أصحابه:

وحرصهم على ذلك وإزدحامهم عليه حتى ينال منه أحدهم الشعرة والشعرتين فيه أقوى دليل على أن التبرك بآثاره ﷺ كان أمراً مطرداً شائعاً بين أصحابه رضى الله عنهم سائغاً شرعاً لإقرارهم عليه، فلاينكره إلا من لم تخالط قلبه بشاشة الإيمان (انتهى من زاد المسلم بزيادة).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى «غزوة الطائف» وأخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة فى باب فضائل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه.

وفى الشفا كانت شعرات من شعره عليه السلام فى قلنسوة خالد بن الوليد رضى الله عنه فلم يشهد بها قتالاً إلا رُزق النصر «إنتهى من تاريخ الخميس» ببركته ﷺ، ولما سقطت عنه قلنسوته يوم اليمامة شد عليها شدة حتى أخذها فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك قبل علمهم بمافيها من شعر رسول الله ﷺ، فقال خالد: لم أفعل ذلك لقيمة القلنسوة لكن كرهت أن تقع بأيدى المشركين وفيها شعر من النبى ﷺ فرضوا عنه وأثنوا عليه.

وأخرج البخارى فى كتاب اللباس بإسناده إلى إسرائيل بن يونس عن عثمان بن عبد الله مولى آل طلحة أنه قال أرسلنى أهلى إلى أم سلمة زوج النبى ﷺ بقدح من ماء «وقبض إسرائيل ثلاث أصابع» من فضة فيه شعر من شعر النبى ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شىء إليها مخضبته فاطلعت فى الجلجل فرأيت شعراً حمراً»[١].

قال القسطلانى والحاصل من معنى هذا الحديث أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبى ﷺ حمر محفوظة للتبرك فى شىء مثل الجلجل وكان الناس يستشفون بها من المرض، فتارة يجعلونها فى قدح من ماء ويشربونه وتارة فى إجانة من الماء فيجلسون فى الماء الذى فيه الجلجل الذى فيه تلك الشعرات الشريفة (أ.هـ) هكذا كان دأب الصحابة وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وجاء فى الصحيحين عن سعيد بن المسيب أن أبا أيوب أخذ من لحية رسول الله ﷺ شيئاً فقال: لايصيبك السوء يأبا أيوب، وفيه أيضاً: روى ابن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال: قال ثابت البنانى قال لى أنس بن مالك هذه شعرة من شعر الرسول ﷺ،فضعها تحت لسانى قال فوضعتها تحت لسانه فدُفن وهى تحت لسانه[٢].

---

(١) قوله وقبص اسرائيل ثلاث أصابع إشارة إلى صغر القدح، وقال الكرمانى هو إشارة إلى عدد إرسال عثمان المذكور إلى أم سلمة. وقوله من فضه بيان لجنس القدح. وهذا ماذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين كما نقله ابن حجر. وقوله فيه أى فى القدح، وقوله مخضبته هو من جمله الآتية.
والجلجل بضم الجيمين هو شىء يشبه الجرس يُتخذ من ذهب أو فضة، أو نحاس يوضع فيه ما يراد صيانته. وهذا الحديث أخرجه ابن ماجة فى اللباس من سننه أيضاً.
(٢) كتاب زاد المسلم جـ٥ ترجمة أبى أيوب الأنصارى.

وجاء فى كتاب «سيرة خير العباد المجردة من زاد المعاد» مانصه: وفى صحيح مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت: هذه جبة رسول الله ﷺ، فأخرجت جبة طياليسية خسروانية لها لينة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج فقالت: هذه كانت عند عائشة رضى الله عنها حتى قُبضت ، فلما قبضت قبضتها، وكان النبى ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمريض يستشفى بها «انتهى».

وقال صاحب العقد الفريد فى شأن وفاة معاوية رضى الله تعالى عنه: لما ثقل معاوية ويزيد غائب،أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن أبى سفيان جالساً فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفسه،فكلّمه يزيد فلم يكلمه فبكى يزيد. ثم قال معاوية أى بنى إن أعظم ما أخاف الله فيه ماكنت أصنع بك. يابنى إنى خرجت مع رسول الله ﷺ فكان إذا مضى لحاجته وتوضأ أصب الماء على يديه، فنظر إلى قميص لى قد انخرق، فقال لى: يامعاوية ألا أكسوك قميصاً؟ قلت: بلى، فكان قميصاً لم ألبسه إلا لبسة واحدة وهو عندى، واجتز ذات يوم فأخذت جزازة شعره وقلامة أظفاره فجعلت عندى ذلك فى قارورة،فإذا مت يابنى فاغسلنى ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عينى ومنخرى وفمى ثم اجعل قميص رسول الله ﷺ شعاراً من تحت كفنى إن نفع شىء نفع هذا. أ.هـ.

وعن أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنهما قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ فشرب من قربة معلقة قائماً فقمت إلى فيها فقطعته[1] قال شارح هذا الحديث فى رياض الصالحين: وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به وتصونه عن الإبتذال أ.هـ.

وذكر فضيلة العلامة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق[2]. . بعد الكلام عن غسل زينب بنت رسول الله ﷺ بعد وفاتها رضى الله تعالى عنها: وأنه ﷺ أمر النساء اللاتى تولين غسلها رضى الله تعالى عنهن أن يخبرنه بعد فراغهن من غسلها، فلما فرغن وأخبرته أعطاهن حقوة بفتح فسكون أى إزاره ليجعلنه على جسدها ثم بعده الكفن.

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(٢) كتاب «فتاوى شرعية وبحوث إسلامية لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف، ص ٣٥٧.

قال رحمة الله تعالى بعد الكلام على هذا الموضوع مانصه: وقد أعطاهن ﷺ إزاره الشريف وأمرهن أن يجعلنه الثوب الذى يلى جسدها لتنالها بركته ﷺ ببركة ثوبه، وإنما أخره ولم يناولهن إياه أولاليكون قريب العهد من جسده الشريف حتى لايكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل، لاسيما مع قرب العهد بعرقه المبارك وهذا من أمارات حبه ورحمته وشفقته على ابنته. قال وفيه دليل على مشروعية التبرك بآثار الصالحين.

ويُروى أن الإمام أحمد بن حنبل كانت عنده ثلاث شعرات من الجسد الشريف فأمر أن توضع واحدة على عينه، والثانية على عينه الأخرى، والثالثة على فمه إذا كُفن تبركاً بآثاره ﷺ والله تعالى أعلم. أ. هـ[1].

فهل يليق بالمؤمن أن ينكر التبرك بآثار الرسول ﷺ وصحبه وسلم والصالحين؟

وانظر ماجاء أيضاً فى صحيح البخارى فى أواخر كتاب الجهاد والسير فى باب ماذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وماستعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك فيه أصحابه وغيرهم بعد وفاته ﷺ. . راجع هذا الباب أيضاً لتزداد علماً ومعرفة ويقيناً.

فتأمل رحمنا الله وإياك عظيم حب الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين بل وجميع المسلمين لرسول الله ﷺ، وهم يحتفظون بآثاره عليه الصلاة والسلام ويتبركون بها فى حياته ﷺ وبعد موته. . فكيف يعترض بعض فئة من الناس فى هذا الزمان على الإحتفاظ بآثار رسول الله ﷺ والتبرك بها.

نسأل الله تعالى السلامة والعافية من الفتن ماظهر منها ومابطن.

وفى مختصر البخارى للقرطبى مانصه: قال أبوعبد الله البخارى رأيت قدح رسول الله ﷺ بالبصرة وشربت فيه، وكان اشترى من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف، فقد كان هذا القدح محفوظاً عند الصحابة والتابعين للتبرك بالشرب فيه ولم يُسمع عن أحد من الصحابة ولا من أئمة التابعين إنكار ذلك،

---

(١) المصدر السابق.

ولا الإستخفاف به. فكيف يتوهم أن هذا التبرك وشبهه منهى عنه أو خلاف الأفضل؟ أحرى أن يوصف فاعله بالضلال أعاذنا الله تعالى منه.

قال صاحبى: وبالقياس على ماسبق فإنه يجوز التبرك بآثار الصالحين والإنتفاع بها بعد موتهم وإنتقالهم إلى الدار الآخرة والفوائد فى هذا الباب كثيرة جداً لاتعد ولاتحصى.

ومن المعجزات الباهرة أن هذه الجموع العظيمة الآتية فى كل وقت وحين لزيارة النبى ﷺ لم يُسمع عن أحد منهم أنه عبد قبره الشريف، وهذا مصداق لقوله ﷺ ودعائه المتقبل عند حبيبه ومولاه جلّ فى علاه: «اللهم لاتجعل قبرى وثناً»[١].

وعن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لاتجعل قبرى وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢].

نعم لقد استجاب الله تعالى دعاء عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ، فلم يجعل قبره الشريف وثناً يعبد ، مع كثرة ازدحام الناس عليه فى كل وقت وحين، وماقصدهم من الزيارة إلا التقرب إلى الله تعالى ورسوله. إنهم من عظيم شوقهم وشدة محبتهم يتهافتون على القبر الشريف تهافت الظماء على ورود الماء. نعم إنهم يزدحمون على الرحاب الطاهرة الشريفة لأن الرحاب النبوية فيها الفيوضات المعنوية، والأنوار الباهرة القوية، وقد قيل فيه: «المورد العذب كثير الزحام» وهذا مثل الحجر الأسود الذى هو فى ركن الكعبة المعظمة، فإن الناس يزدحمون على تقبيله ازدحاماً لامثيل له فى مواسم الحج، ولم يُسمع قط أن أحداً عبد الحجر الأسود لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام، ولاشك أن ذلك من كرامة الله تعالى على الحجر الأسود وعلى رسوله ﷺ وكذلك لم يُسمع أن أحداً عبد حجر مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام الذى هوعند الكعبة المشرفة من آلاف

---

(١) رواه مالك وابن أبى شيبة والبزاز.

(٢) رواه الإمام مالك فى الموطأ فى جامع الصلاة جـ١ ص١٤٣ط. الحلبى القاهرة..

السنين، ولا أحد عبد نفس الكعبة المعظمة بيت الله الحرام لافى الجاهلية ولافى الإسلام.. فسبحان الله الذى يجعل سره فيما يشاء من خلقه وما أحسن دين الإسلام ذلك الدين لقيم.

وعن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقف على قبر رسول الله ﷺ فيصلى على النبى ﷺ وعلى أبى بكر وعمر[1].

قال الإمام أبوحامد الغزالى رحمه الله فى كتاب «آداب السفر»: يجوز زيارة قبور الصالحين للإنتفاع بها لأن كل من يتبرك به فى حياته يجوز التبرك به بعد موته. قال: ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يعارضه حديث «لاتُشد الرحال إلا لِثلاث مساجد» لتساوى المساجد فى الفضل دون الثلاثة وتفاوت العلماء والصُلحاء فى الفضل فتجوز الرحلة عن الفاضل للأفضل» أ. هـ.

ونضيف أن شد الرحال مقصود به زيارة الصالحين لا المسجد ذاته والاجماع منعقد على أن هنالك حياة بعد الموت وإن كانت تختلف عن هذه الحياة الدنيا:

لاتـظـنـوا المـوت مـوتـاً إنـه لحـيـاة وهـو غـايـات المـنـى

لاتـرعـكـم هـجـمـة المـوت فما هـو إلا نـقـلـة مـن هـاهـنـا

وكما أن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾[2].

---

(١) أى كان يقول كما نقول نحن اليوم: اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصاحبيه (أبى بكر وعمر) وسلم. وكان رضى الله عنه، لشدة كلفه بمتابعة آثار النبوة، يبالغ فى اقتفاء السُنة، ولا يكتفى بمحاكاة الرسول والسير على نهجه، بل يذهب إلى شجرة الرضوان يتكىء إليها، ويجلس تحتها، ويستظل بظلها الوارف، لأنها شهدت تلك البيعة التى بايع المسلمون فيها نبيهم على السمع والطاعة والنصرة والفداء، ومجاهدة العدو وإعلاء كلمة الله، وسماها التاريخ «بيعة الرضوان» كما سمى الشجرة كذلك، لأن الله يقول فى أهلها ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ ولم يقل أحد فى هذا الصنيع من عبد الله بن عمر إنه وثنيه، وإلا كان على الصحابة السلام..!!

(١) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠..

فهؤلاء الأولياء الصالحون؛ أهل الإيمان والتقوى هم أهل السعادة وأرواحهم باقية ناعمة إلى يوم يبعثون وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين[1].

ومن ثم يجوز دعاء المؤمن الميت للمؤمن الحى: ويظهر ذلك من معنى حديث رسول الله ﷺ والقائل فيه: «تُعرض على أعمالكم أو أعمال أمتى يوم الاثنين من كل أسبوع فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت الله لكم».

وكذلك يجوز دعاء المؤمن الميت للمؤمن الميت:

وسند هذه الصورة هو الحديث السابق حيث لم يقيد الإستغفار فيه للمقصرين الأحياء من أمة المصطفى ﷺ، وعليه فيشمل الأموات أيضاً بطريق القياس والأولى عسى أن يكون الأموات فى أشد الحاجة إلى دعائه ﷺ للتخفيف عنهم فى القبر أو يوم القيامة.

قلت: غير أنى أرجح كون الحديث قاصراً على الأحياء لأن الدار الدنيا للتكليف وفى العمر متسع يستطيع الإنسان أن يتدارك مافاته.. وهذا لايمنع من القول بعموم الحديث للأحياء والأموات مستدلين بالرؤيا الصادقة التى يراها المسلم فتجىء كفلق الصبح نهاراً.

فكم من مؤمن رأى فى نومه المصطفى ﷺ أو بعض الصالحين فطلب منه الدعاء وإذا صحّ هذا فلا مانع من أن يرى المسلم الحى فى نومه ميتين يطلب أحدهما من الآخر أن يدعوا له، ولامانع من عقل أو شرع وبخاصة إذا عرفنا أن الأرواح لايعتريها الفناء، فهى كما علمنا بين التنعيم والتعذيب وخير شاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[2].

---

(١) مقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى.
(٢) آل عمران: ١٦٩.

قال صاحبى: ولهذا فإن الإمام الشافعى، وهو من أحد الأئمة الأعلام بأحكام الدين، وصاحب المذهب المعروف بإسمه، والذى قيل عنه؛ عالم قريش الذى ملأ طباق الأرض علماً» كان يتبرك بزيارة قبر الإمام أبى حنيفة النعمان مدة إقامته بالعراق بعد موته، وهذا ثابت فى أوائل «تاريخ الخطيب» بسند صحيح.. وكان يقول: فى قبر موسى الكاظم[1] «إنه الترياق المجرب».

وسند هذه الصورة الحديث الصحيح الذى رواه ابن أبى الدنيا قال: حدثنا عبد الله قال حدثنا عبيد الله بن عمر قال حدثنا يزيد بن زريع عن حميد قال: قال أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: ﴿ **ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾[2].

ومن المجرب أيضاً أن تزور قبر سيدى أحمد الدردير الموجود بالقاهرة وتقرأ له فاتحة الكتاب ثم تتوجه مباشرة دون أن تحدث أحداً حتى تصل إلى قبر الإمام الحسين رضى الله عنه وتقرأ له الفاتحة فإن الله عزوجل يجيب دعائك ويقضى حاجتك ببركتهما رضوان الله عليهما.

ومما قاله المقريزى: «قبر السيدة نفسية رضى الله عنها أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر».

وكذلك قبر السيدة زينب رضى الله عنها بنت الإمام على كرم الله وجهه بالقاهرة من الأماكن المباركة المُجاب عندها الدعاء.

تشبهوا بالرجال إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

ومحبة الأولياء تجارة لن تبور لما دل عليه قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»، فمن أحبهم سعد بسعدهم، وفاز بفوزهم، ورُفع فى درجتهم، وصدق القائل.

---

(١) الإمام موسى الكاظم هو أحد الأئمة الإثنا عشر للشيعة.

(٢) الشورى: ٢٣.

عودٌ على بدء:

قلت: أما زلت تقصد التوسل بالصالحين؟

قال صاحبى: أما التوسل إلى الله تعالى بجاه أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأوليائه الصالحين فليس شركاً ولاحراماً ولاهو بدعة مستحدثة فى الدين، فإنما هو محبوب ومندوب إليه شرعاً.

قلت: إن كان عندك أدلة أخرى على مشروعيته فزدنى بها، قال: نعم.

وقد دل على مشروعيته الكتاب والسنة القولية والفعلية وعمل السلف الصالح عن الصحابة والتابعين إلى وقتنا هذا، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾[1] فيؤخذ من هذه الآية الكريمة أنه كمايكون إكرام الأمة، ورفع العذاب عنها بسبب استغفارهم، كـذلك يـكون بسببه ﷺ وقد قـال الله تعالـى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾[2].

فلولم يكن التوسل صحيحاً لما كان هناك فايدة لقوله: ﴿ **جَاءُوكَ** ﴾ وقوله: ﴿ **وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ** ﴾.

ونحن نعتقد أن الأنبياء والأولياء أحياء فى قبورهم، وأن منزلتهم عند الله تعالى لم يطرأ عليها تغيير أوتبديل بل هم بعد الموت أشد قرباً من الله تعالى وأرفع مكانة عنده، وقد قالوا: «الولى كالسيف فى غمده فإذا مات سُلّ من غمده» وذلك لأن روحه فى الدنيا كانت مشغولة نوعاً ما بتدبير البدن وعوائق البشرية، فإذا مات زالت عنه هذه العوائق بالكلية، وبقيت روحه خالصة فى توجهها إلى الحق واقتباسها من أنواره القدسية فيقوى بذلك نورها وسلطانها، وتزداد أشعة أنوارها المنعكسة على من يلوذ بها من ذوى الحاجات وأرباب الإرادات، وقد أخبرنا الرسول ﷺ: أن حياته ومماته سواء؛ فى انتفاعنا بشفاعته، وعود بركاته علينا حيث قال فى الحديث الصحيح: «حياتى خير لكم تُحدثون وتُحدث لكم، فإذا مت كانت وفاتى خيراً لكم، تُعرض علىّ أعمالكم فإن

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) النساء: ٦٤.

وجدت خيراً حمدت الله تعالى، وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم» اللهم أجزه عنا خير الجزاء.

وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى التوسل ووقع منه ومن صحابته، وعن تابعيهم كماسبق أن قلنا ونقول: فقد صح أنه دعا لفاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال فى دعائه: «الله الذى يحيى ويميت وهو حى لايموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين»[1].

وعن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ وهم جلوس معه فشكا إليه ذهاب بصره فأمره بالصبر فقال: ليس لى قائد وقد شق علىّ بصرى فقال له: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل: «اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يامحمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى فشفعه فى، قال عثمان بن حنيف: فوالله ماتفرق بنا المجلس حتى دخل علينا بصيراً، كأن لم يكن به ضر»[2].

وتوسل الصحابة به ﷺ فى الإستسقاء وغيره ثابت فى الصحيحين. وتوسل عمر رضى الله عنه بالعباس بن عبد المطلب مذكور فى صحيح البخارى. ففيه عن أنس أن عمر رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب. وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فيُسقون»[3].

قلت: وللمرحوم الشيخ الدجوى فى التعليق على هذه الحادثة كلام جميل يتلخص فى أن عمر لم يقصد بهذا الصنيع الإعلان عن أن التوسل لايكون إلا بالأحياء فقط، ولكنه قصد إلى أن التوسل يجوز بالمفضول والفاضل بدليل أن المسلمين كان فيهم علىّ رضى الله عنه، فى هذا الوقت وهو خير من العباس وفيهم عمر وهو أفضل بولايته أمر المسلمين.. على أن عمر كان يهدف دائماً أبداً

---

(١) أخرجه الطبرانى ووثقه ابن حبان والحاكم عن أنس رضى الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذى وصححه، والنسائى والبيهقى والطبرانى بأسانيد صحيحة.

(٣) وكان ما قاله العباس كما فى الفتح: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب؛ ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث.

إلى عدم شيوع الفتنة فى صفوف المسلمين، فهو يأمر بعدم تدوين الحديث لئلا يختلط بالقرآن ويشتبه به، ويأمر بعدم إنتقال المحدثين إلى الأمصار لئلا يوجهوا الناس إلى الإشتغال بالحديث ومدراسته، ويكون ذلك صرفا لهم عن القرآن الكريم، ويأمر بقطع شجرة الرضوان التى كان ابنه عبد الله يستظل بظلها، ويتكىء إليها، لأنه خشى أن يتخذها المسلمون منسكاً للعبادة والطاعة. . وهذه الصلاة التى يرجو الناس بها المطر، خاف إن أبطأ عليهم الغيث أن ينزل ذلك بقدر النبى عندهم فيظنوا أن جاهه عند ربه قد تولى بموته، ولم يعد له من المزية ماكان له من قبل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾[1].

قال صاحبى: دعنى ياصديقى أكمل حديثى، وأصل منه ماانقطع.

قلت: على الرحب والسَّعة.

قال: وروى الطبرانى والبيهقى والترمذى بسند صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى زمن الخلافة فى حاجة له، فكان لايلتفت إليه، فرجا عثمان بن حنيف أن يكلمه فى شأنه، فعلّمه الدعاء السابق، وهو: «اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك. . . . . إلخ». . فتوضأ الرجل وصلى ثم دعا به كما علمه، ثم جاء إلى باب عثمان بن عفان فأخذه الخادم، وأدخله عليه، فأجلسه بجانبه على «الطنفسة» ثم قضى حاجته، وقال له: إذا عُرضت لك حاجة فأتنا، فلما قابل الرجل عثمان بن حنيف قال له: جزاك الله خيراً، ماكان ينظر فى حاجتى، كلمته فيها؟ فقال له: والله ماكلمته، ولكن كنت عند رسول الله ﷺ فدخل عليه أعمى وذكر الحديث السابق.

وقصة الإمام مالك مع المنصور التى قال له فيها حينما سأله: أأستقبل القِبلة وأدعو، أم أستقبل قبر النبى ﷺ وأدعو؟

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

فقال له: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام، مشهورة ومذكورة فى كتابى الشفا والمواهب وغيرهما.

وكان معاوية رضى الله عنه يستسقى بيزيد بن الأسود ويقول: اللهم إنا نستسقى بخيرنا وأفضلنا، إلى آخر ما يطول إستقصاؤه، وفيما ذكرناه الكفاية..

التوسل أحد الأسباب العادية:

ولايخرج التوسل فى الحقيقة عن كونه أحد الأسباب العادية التى جعلها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها، وقرن بينهما فى الوجود مع كون التأثير له وحده جل وعلا، فيكون حكمه حكم بقية الأسباب العادية التى يُكره فيها الإفراط والمغالاة كما يقع من بعض الجهال، والتفريط كما يقع من أهل القسوة والجفاء المنكرين لخواص أولياء الله تعالى الثابتة، وكراماتهم الواقعة بالمشاهدة والعيَان؛ إذ ليس من المستحيل، بل ولا من البعيد أن يُعلق الله تعالى قضاء حاجة من الحوائج، كشفاء من مرض أو سعة فى رزق على التوسل بأحد عباده الصالحين!!

وفى هذه الحالة لايمكن أن يحصل المطلوب من الشفاء وغيره من غير طريق التوسل بحال، لا لأن التوسل مؤثر بذاته، ولا لأن الولى أوالنبى هو الذى خلق الشفاء وأوجده بل لما سبق فى علمه تعالى من تعليق هذا الشفاء على التوسل المذكور.

فائدة التوسل ثابتة بالنص واقعه بالحس:

وأما فائدة التوسل فهى ثابتة بالنص واقعه فى الحس لماسبق فى الأحاديث المروية من قول أنس فى قصة استسقاء عمر رضى الله عنه بالعباس فيُسقون.

ومن قول عثمان بن حنيف فى حديث الضرير الذى توسل بالنبى ﷺ.. فوالله ماتفرقنا حتى دخل علينا بصيراً كأن لم يكن به ضُر.. إلى غير ذلك مما يحول بيننا وبين سرده خشية الإطالة، وقد عاد على الفقير شخصياً من بركات أهل البيت وغيرهم من أولياء الله تعالى ما لا يمكننى أن أرتاب فيه؛ إذ لايقبل شكا ولا تأويلاً، حتى لولم يكن لدىّ من الأدلة على صحة التوسل إلا هذا لكان كافياً عندى!!

على أن الدعاء والطلب ـ على شرط أن يكون موجهًا إلى الذى يجيب الدعاء، ويكشف البلوى، ويدفع الضر، ويصرف السوء، ويرحم الخلق ـ لا يخلو أن يكون فى هذا المكان الطاهر، والساحة النقية، والبقعة المباركة، وهى المسجد، وفيه يقول من اجتباه ربه واصطفاه «إذا دخلتم ـ أو أتيتم ـ رياض الجنة فارتعوا» وقد سُئل: ما رياض الجنة؟ فأجاب بأنها المساجد... وأى مكان يستجيب الله فيه الدعاء أزكى وأنقى من هذا المكان ـ ويُخيل إلى أن جماعة ممن لا يروقهم هذا الكلام سيقولون.. فإذا كان الولى مشكوكًا فى مكانه، أو تعددت أمكنته.. أيدعو الداعى حينئذ ثم يكون دعاءه مظنون للاستجابة.. والجواب على ذلك بالتسليم أيضًا، لأن بعض العلماء قالوا إن للرجل الصالح أكثر من روح واحدة، وبناء على هذا يكون للحُسين رضى الله عنه مزار بكربلاء ومصر من غير نكران، وهذا القول قاله جماعة من شراح البخارى، وقد كان النبى ﷺ يحدّث أصحابه بأن من غلبت عليه طاعة من الطاعات دخل الجنة من باب خاص، وأن الصائمين يدخلون من باب يُسمى « الريّان» وهكذا... وعندئذ قال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه: بأبى أنت وأمى يارسول الله.. هل على من يدخل من تلك الأبواب كلها من حرج؟ فقال له: «لا وأرجو أن تكون منهم».. وقالوا إن الرجاوة من الرسول الله ﷺ محققة... فأبو بكر رضى الله عنه سيدخل من هذه الأبواب كلها لا محالة فى وقف واحد.. وصوّروا ذلك بأن للولى أكثر من روح واحدة... ولا يضيرنا التصديق بذلك كله لأنه لا يترتب عليه محال، ولا يلزم من حصوله منكر، وبخاصة إذا علم أن اليوم الآخر لا يجرى على نواميس الحياة، ولا يخضع لأساليب الدنيا، ولا يتمشى مع نظامنا الذى ألفناه.. وأن الحديث القدسى يقول «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

وإلى هنا نستطيع أن نقول للذين يهاجمون الأولياء، ويحاربون زيارتهم، ويمنعون التردد على أمكنتهم، والاقتباس من نورهم، والتملى من الخير الذى فى ساحتهم، وما يفيض الله فى رحابهم، إنكم تجاهدون فى غير عدو، وتقطعون

سَبْحكم لعمل لا يجدى، وتجلبون لأنفسكم مقت جماعة من المسلمين لا يرضيهم إلا أن يرددوا ما يقول قيس بن الملوح:

أمــرُّ علـى الـديــار ديــار ليــلى أُقبّــل ذا الجــدار وذا الجــدارا
ومـا حُـبّ الديــار شغفـن قلبـى ولكــن حُـبّ مـن سكـن الديـارا

قلت: وكلمة الفضل فى ذلك كله أن الذى يتوسل برجل طيب له عند الله منزله، ولايجعله شريكاً لله فى الخلق والتكوين، والقدرة والإرادة ولكنه يتوسل بمكانته الملحوظة، وقدره المرموق لأنه عمل مايستحق به أن يكون له عند ربه هذا الجاه، فضلاً عن كون ذلك إغراء بإقتفاء آثاره، وتتبع أخباره، والإقتداء به، والمحاكاة له.. والدين الإسلامى لم يحظر القدوة الصالحة بحال من الأحوال، وهذا هو الرسول الكريم يحث عليها ويغرى بها، إذ يقول: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

وكذلك التربية الحديثة تقول بها، وترجع الفضل الأول فى نبوغ النابغين وعلم المخترعين، إلى اتخاذ القدوة، والجرى وراء المثل العُليا من رجال الفكر والمعرفة والإجتهاد والسبّق، ومن هؤلاء الذين دوى بهم التاريخ، وطنطنت بأسمائهم الصحف والمجلات، وكان لهم بين معاصريهم امتياز جعلهم أهلاً لهذا الفضل الذى نالوه، والدرجات التى حصلوا عليها:

لســـنا وإن أحـسـابـنـا كـرمـت يــومـــاً عـلـــى الآبـــاء نـتـكـل
تينـــى كـمـا كـانـــت أوائـلـنــا تــبـنــى ونـفـعـل مثل مافعلوا

استطــراد

اعلم وفقنى الله وإياك أن أول مقصد من مقاصد الإسلام تجريد التوحيد وإخلاص الدين لله وحده قال الله تعالى: ﴿**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر: ٢، ٣] وقال: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ**

الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]، وتجريد التوحيد لا يتم إلا بالتوجه الكلى لله من غير التفات إلى غيره.

ولهذا حرص الرسول ﷺ على أن يربط القلوب بالله وحده، فكان يُعلّم أصحابه التوكل على الله والثقة به، والالتجاء إليه فيقول: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأُمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

ويقول: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما تُرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» كما كان يحذرهم أن ينهكوا حُرمة التوحيد ويجنبّهم كل ما هو ذريعة إلى الشرك فحظر عليهم الحلق بغير الله فقال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآباتكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت».

وروى البغوى عنه ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

بل كان يصحح ما كان يقع فى كلا منهم من أغلاط، حماية لجانب التوحيد.

روى الطبرانى فى معجمه: «أنه كان فى زمن النبى ﷺ ـ منافق يؤذى المؤمنين فقال الصدّيق: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق

فجاءوا إليه فقال: إنه لا يُستغيث بى، وإنما يستغاث بالله

وقال بعض الأعراب: «ما شاء الله وشئت».

فقال: أجعلتنى لله ندًا بل ما شاء وحده».

وما دام التوحيد الخالص هو جوهر الإسلام ولبّه كان كل ما أتصل به من صميم الإسلام، وكل ما خالفه، أو كل ذريعة إلى الشرك باطل دخيل فى دين الله.

وعلى هذه القاعدة نقول: إن التوسّل ما دام لم يمس جانب التوحيد فهو توسّل مشروع.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد جاء فى السُّنة أمثلة لدعاء الله بأسمائه وصفاته نورد بعضها:

١ ـ عن معاذ بن جبل: أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقول: «يا ذا الجلال والإكرام. فقال: استجيب لك فسل تُعطه». (رواه الترمذى وحسّنه).

٢ ـ وعن أنس أنه ﷺ سمع رجلاً يدعو (اللهم أنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام، يا حى يا قيوم) فقال النبى ﷺ: «لقد سأل الله باسمه الأعظم» (رواه أحمد وأصحاب السنن: أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وصححه الحاكم وابن حبان).

٣ ـ وعن بريدة أنه ﷺ سمع رجلاً يدعو ويقول: «اللهم أنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد». فقال: والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب وإذا سُئل به أعطى». (رواه أصحاب السنن وصحّحه الترمذى وغيره).

ويلحق بهذا التوسّل الإيمان بالله والعمل الصالح، جاء فى القرآن حكاية عن أولى الألباب ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وفى الصحيحين حديث النفر الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فتوسل كلٌ منهم بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ونجو.

ومن هذا القبيل أن يطلب من الحى أن يدعو له، وقد كانت الصحابة يسألون الدعاء من النبى ﷺ، وعن عمر أنه استأذن رسول الله ﷺ فى العُمْرة فأذن له وقال: «فلا تنسنا يا أخى من دعائك» (رواه الترمذى).

وفى البخارى أن عمر استسقى بالعباس وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجذبنا نتوسل إليك بعم نبيّنا فاستقنا فيُسقون».

ومعنى التوسّل به أن يدعو هو وهم يدعون معه، وقد مرّ بك ما قاله العباس رضى الله عنه فارجع إليه.

ونظير هذا ما أخرجه النسائى وابن ماجه والترمذى وصحّحه: أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: إنى أُصبت فى بصرى فادع الله لى.

فقال له النبى ﷺ: «توضأ وصلِّ ركعتين ثم قل:

«اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد إنى استشفع بك فى ردّ بصرى، اللهم فشفّعه فى. وقال: فإن كان لك حاجة فمثل ذلك، فردّ الله بصره».

والظاهر أن الأعرابى إنما توجه إلى الله بدعاء النبى له، ودعائه لنفسه كما أشارت إلى ذلك الروايات.

أما إذا كان التوسّل يخدش جانب التوحيد فهو باطل مردود.

كأن يتوسل بأحد من الخلق أو بحق أحد من الصالحين أو بجاهه معتقدًا أن للتوسّل به تأثيرًا فى الحصول المطلوب.

وإنما كان هذا مجانبًا لعقيدة التوحيد، لأن التوحيد يقتضى ألا فاعل ولا مؤثر إلا الله وحده، وأن إرادة الله لا تتأثر بشىء، والله يفعل شيئًا لأجل أحد أما أذا كان المتوسّل لا يعتقد أن للمتوسّل به تأثيرًا فى الحصول المطلوب.

بل يرى أن الكل من الله وحده، وأن ما يفعله إنما هو مجرد مباشرة أسباب كمباشرة الأسباب العادية، فهذا لا يخدش عقيدة التوحيد ولا يصل إلى حد الشّرك.

عن عقل بن يسار رضى الله عنه قال: قال أبو بكر رضى الله عنه وشهد به على رسول الله ﷺ قال: «ذكر الشّرك فقال: هو أخفى فيكم من دبيب النمل، وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول: «اللهم أنى أعوذ بك أن أُشرك بك فيما أعلم واستغفر لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات».

ويجب أن لا ينفك المسلم فى كل أوقاته عن هذا الدعاء، فإن كل جزئيات الزمن لا تخلو من فتن هوج، فلا بد أن يكون دائم الاستحضار لهذا الدعاء لينفى عن نفسه درن الشرك الخفى أعادنا الله تعالى منه.

وعن ابن جريج قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر: «الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل. فقال أبو بكر: هل الشرك إلا ما عُبد من دون الله؟ قال: يا أبا بكر الشرك أخفى فيكم من دبيب النمل: إن من الشرك أن يقول الرجل ما شاء الله وشئت، ومن الند أن يقول الرجل: لولا فلان لقتلنى فلان، أفلا أدلك على ما يذهب الله عنك به صغار الشرك وكباره؟ قال: بلى يا رسول الله، قال تقول كلا يوم ثلاث مرات: «اللهم إنى أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، واستغفر لما لا أعلم».

وعن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد كنت أكره لكم أن تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد».

ثم ماذا بعد..؟

لقد كثر الخلاف وتشعْب الجدل بين العلماء فى هذا النوع.. كالتوسّل فمن مانع..ومن يجوز؟!

والذى تشهد له الأدلة، أن الحظر مُقّدم على الإباحة سدًا للذريعة، وبُعْدًا عن مظنة الشبهة، لا سيما فى هذه الناحية العقدية التى تمس صميم الدين.

وعندنا من الأدعية المأثورة الصحيحة.. التى لم يختلف فيها ما يُغنينا عن هذه البدع المحْدَثة التى تعلّق الناس بها حتى حُجبُوا عن نور النبوة، وطمسوا جمال التوحيد.. فإن قلت فما معنى الكلام الذى ذكرتموه سابقًا؟

قلنا إن أهل اليقين لا تضرهم الأسباب والله أعلم بالصواب.

ثم قال صاحبى: تضمن حديثنا ـ أين منهجين مختلفين فى قضية واحدة فماذا ترى؟

قلت: أرى، والله أعلم أن كلا المنهجين على حق.

قال: وكيف ذلك؟

قلت: ذلك أمرٌ شَرْحه يطول...

الفصل السابع

دعاء الإنسان المسلم

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

وقال ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء»

(رواه البخارى)

دعاء الإنسان المسلم فى يومه وليلته:

يوم الإنسان المسلم يوم مبارك مشهود، تحف به ملائكة الرحمة، وتشرق مع فجره وشمسه أنوار الإيمان بذكر الرحيم الرحمن، وطاعة الملك الديان، فإذا صحا المسلم من نومه حمد لله عز وجل وشكره ومسح عن عينيه النوم، ونطق بكلمة الإسلام والتوحيد: «أشهد أن لاإله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»..

ثم يقول بعدها: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[١].

أويقول: « الحمد لله الذى رد إلى روحى وعافانى فى جسدى، وأذن لى بذكره».

ثم قام إلى وضوئه استعداداً لصلاة الفجر وقرآن الفجر: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٢] وأيقظ أهله ليشاركوه فى هذه الصلاة المباركة التى هى معراج المؤمن ووسيلته للقرب والمناجاة من ربه عز وجل.

---

(١) رواه مسلم عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من نومه يقول.. وذكره.
(٢) الإسراء: ٧٨.

فإذا أنهى وضوئه حمد الله ودعاه بقوله: «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين»[1].

ثم استعد للذهاب إلى المسجد ليشارك إخوانه المؤمنين فى هذه الصلاة المباركة صلاة الفجر جماعة[2].

فإذا لم يكن لديه مسجد قريب من مسكنه أو تعذر عليه الذهاب للمسجد لخوف أو مطر أومرض، جمع أهله وصلى فى بيته جماعة ولومع زوجته وحدها حيث يقف أمامها وتقف هى خلفه، لاعن يمينه أو شماله بل وراءه تماماً وإذا كان له ولد وقف عن يمينه، ووقفت الزوجة أو الأم خلفهما، وإذا كان لديه أكثر من ولد أو أخ وقفوا بصف واحد خلفه ووقفت النساء بصف آخر وراءهم.. فإذا انتهت صلاة الفريضة بدأوا بذكر الله وتسبيحه وتحميده واستغفاره ودعائه عز وجل فى هذا الوقت المبارك حيث قال فيه رسول الله ﷺ «بورك لأمتى فى بكورها» والبداية تكون هكذا.

لاإله إلا الله وحده لاشريك له،له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير تكررها عشر مرات وفى المرة العاشرة والأخيرة تقول: لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك والحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير وإليه المصير، اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن برد الزمهرير ومن الحيرة عند سؤال منكر ونكير. ثم تقول بعدها:

---

(١) رواه مسلم والترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله لله قال: «مامنكم من أحد يتوضأ ثم يقول: أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين.. إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء.

(٢) عن أبى حميد عن النبى ﷺ أنه قال: إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى ﷺ ثم ليقل «اللهم افتح لى أبواب رحمتك»، فإذا خرج فليقل «اللهم إنى أسألك من فضلك» رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

وروى أحمد والطبرانى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفرلى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك» وتقول عند خروجك من بيتك «بسم الله توكلت على الله ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم» قال رسول الله ﷺ من قال إذا خرج من بيته بسم الله..» يقال له كفيت ووقيت وهديت وتنحى عنه الشيطان «رواه الترمذى وقال حسن صحيح»

* اللهم أجرنا من النار: سبع مرات، وتجعل ظهر كفيك إلى السماء[1].

فإذا انتهيت من الإستجارة بالله عز وجل من النار قلبت يديك وسألت الله بظاهر كفيك وقلت: «اللهم نسألك الجنة» سبع مرات.

ثم تقول: اللهم إنا نسألك الجنة وماقرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول وعمل - ثلاث مرات - ثم تقول:

أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله لاشريك له، لا إله إلا الله وإليه النشور. ثلاث مرات.

ثم تقول: اللهم إنا أصبحنا منك فى نعمة وعافية وستر، فأتم علينا وعلى المسلمين نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة - ثلاث مرات - ثم تقول:

* أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين - ثلاث مرات - ثم تقول:

* اللهم إنى أصبحت أُشهدك وأُشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لاإله إلا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك[2] أربع مرات. ثم تقول:

* اللهم ماأصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لاشريك لك فلك الحمد ولك الشكر على ذلك - ثلاث مرات - ثم تقول:

* أصبحنا وأصبح الملك لله، والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار، ومايضحى فيها لله وحده. اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً، وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً[3] ثم تقول:

---

(١) قال الإمام النووى رحمه الله: السُّنة فى كل دعاء لرفع بلاء كالقحط ونحوه أن يرفع يديه ويجعل ظهر كفيه إلى السماء وقد ثبت رفع يدى النبى ﷺ فى الدعاء فى مواطن كثيرة.

(٢) أخرجه أبوداود والترمذى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح أويمسى ... وذكر الحديث.. إلخ» غفر الله له ماأصاب فى يومه ذلك.

(٣) رواه الطبرانى عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال.. وذكره.

* أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم، فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده[1].

* رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً - ثلاث مرات.

* وتقرأ الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[2] وبعدها تصلى على النبى ﷺ.

* اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

* اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم صل على سيدنا محمد أفضل ماصليت على أحد من خلقك، وأجزه عنا خير ماجازيت نبياً عن أمته، اللهم زكنا بالصلاة عليه، واحشرنا فى زمرته، وأوردنا حوضه.. ثلاث مرات.

- عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما مسلم لم تكن عنده صدقة فليقل فى دعائه: اللهم صل على محمد عبدُك ورسولك، وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فإنها له زكاة»[3].

* أن يخص المسلم يوم الجمعة بكثرة الصلاة على النبى ﷺ، وقراءة القرآن والدعاء فإنه يوم مبارك وفيه ساعة إجابة لاتُرد فيها دعوة لعبد مؤمن، قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة علىّ فى كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتى تُعرض على فى كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علىّ صلاة كان أقربهم منى منزلةً»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أصبح أحدكم فليقل. وذكره..

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) رواه أبو داود والترمذى والنسائى.

(٤) رواه البيهقى عن أبى أمامة رضى الله عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من صلى علىّ حين يصبح عشراً، وحين يُمسى عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة»[١].

وقال النبى ﷺ: «كل دعاء محجوب حتى يُصلى على النبى ﷺ»[٢].

وبعد الصلاة على النبى يدعو الإنسان المسلم ربه منيباً إليه خاشعاً بين يديه.. وممايقوله:

«بسم الله الذى لايضر مع اسمه شيء فى الأرض ولافى السماء وهو السميع العليم». ثلاث مرات[٣].

* ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾[٤].

* اللهم أعنى ولاتعن علىّ، وانصرنى ولاتنصر علىّ، وامكر لى ولاتمكر بى، ويسر الهدى لى، وانصرنى على من بغى علىّ.

* اللهم اجعلنى لك شاكراً. لك ذاكراً. لك راهباً، لك مطواعاً مخبتا إليك أواها منيباً.

* اللهم تقبل توبتى، واغسل حوبتى[٥]، واجب دعوتى، وثبت حُجتى، واهد قلبى، وسدد لسانى، واسلل سخيمة[٦] صدرى.. اللهم إنى أسألك الهدى والتُقى والعفاف والغنى.

* اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر. والفوز بالجنة والنجاة من النار.

---

(١) رواه الطبرانى عن أبى الدرداء رضى الله عنه.

(٢) رواه الديلمى عن أنس رضى الله عنه.

(٣) قال النبى ﷺ: «مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذى لايضر مع اسمه شيء فى الأرض ولافى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء» رواه الترمذى وقال: حسن صحيح.

(٤) الشعراء: ٨٣ ـ ٨٥

(٥) اغسل حوبتى أى إثمى وذنبى.

(٦) اسلل سخيمة صدرى أى أقطع واستأصل كل حقد من قلبى وصدرى.

* اللهم احفظنى بالإسلام قائماً، واحفظنى بالإسلام قاعداً، واحفظنى بالإسلام راقداً، ولاتشمت بى عدواً ولاحاسداً. . اللهم إنى أسألك من كل خير خزائنه فى يدك، واستعيذ بك من كل شر خزائنه فى يدك.

* اللهم إنى أسألك من خير ماسألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه محمد ﷺ، وأنت المستعان وعليك البلاغ ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم[١].

* اللهم اصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التى إليها معاشنا، واصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر برحمتك ياأرحم الراحمين.

* اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على على القوم الكافرين.

* اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك، ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا»[٢].

* واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا ولاتجعل مصيبتنا فى ديننا، ولاتجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا، ولاتسلط علينا من لايرحمنا.

ياحى ياقيوم برحمتك استغيث، اصلح لى شأنى كله ولاتكلنى إلى نفسى طرفه عين، أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين.

* رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحاً ترضاه واصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك، وإننى من المسلمين.

---

(١) عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: دعا رسول ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً فقال: «ألا أدلكم على مايجمع ذلك كله. . وذكره».

(٢) كان النبى ﷺ يقول هذا الدعاء إذا أقام من مجلسه.

* ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً، رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

* اللهم يامحول الأحوال حوّل حالنا وحال المسلمين إلى أحسن حال. ثلاث مرات.

* اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة. ثلاث مرات.

* اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

* ربنا أتمم لنا نورنا واغفرلنا إنك على كل شىء قدير.

* ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وادخلنا الجنة مع الأبرار.

* رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين مع الذين أنعمت عليهم من عبادك المقربين برحمتك ياأرحم الراحمين. أو تقول بعد الصلاة على النبى ﷺ:

* «اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، وتجمع بها شملى، وتلم بها شعثى، وترد بها الفتن عنى، وتصلح بها دينى، وتحفظ بها غائبى، وترفع بها شاهدى، وتزكى بها عملى، وتبيّض بها وجهى، وتلهمنى بها رشدى، وتعصمنى بها من كل سوء.

* اللهم أعطنى إيماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء، ومرافقة الأنبياء.

* اللهم إنى أنزل بك حاجتى وإن ضعف رأيى، وقلت حيلتى، وقصر عملى، وافتقرت إلي رحمتك، فأسألك ياكافى الأمور وشافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور.

* اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحداً من عبادك، أوخير أنت معطيه أحداً من خلقك فإنى أرغب إليك فيه وأسألك يارب العالمين.

* اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولامضلين، حربا لأعدائك وسَلما لأوليائك، نحب بحبك من أطاعك من خلقك، ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك.

* اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلىّ العظيم ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقّربين الشهود والرُّكع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد.

* سبحان الذى لاينبغى التسبيح إلا له. اللهم اجعل لى نوراً فى قلبى، ونوراً فى قبرى، ونوراً فى سمعى، ونوراً فى بصرى، ونوراً فى شعرى ونوراً فى بشرى، ونوراً فى لحمى، ونوراً فى دمى، ونوراً فى عظامى، ونوراً بين يدى، ونوراً من خلفى. اللهم زدنى نوراً واعطنى نوراً واجعل لى نوراً»[1] ثم تقول فى نهاية دعائك: والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بهذا ينتهى صباح المسلم ويقوم بعده إلى كتاب الله ليقرأ منه ما تيسر له حتى يختم بالذى هو خير والله الموفق والمعين.

---

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسياً وهو فى بيت خالتى ميمونة، فقام يصلى من الليل، فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح قال.. وذكره.

صلاة الضحى

صلاة الضحى عبادة مستحبة لها أجرها وفضلها وثوابها، ولكنها ليست واجبة ولامفروضة فمن حرص على أجرها وثوابها أداها مأجوراً ومثاباً على أدائها، ومن لم يؤدها فلا تثريب عليه فى تركها. . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أوصانى خليلى ﷺ بثلاث: بصيام ثلاثة أيام فى كل شهر، وركعتى الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»[1].

ويبتدىء وقت صلاة الضحى بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى حين الزوال أى إلى الظهر، والمُستحب أن تؤخر إلى أن ترتفع الشمس إرتفاعاً ظاهراً ويشتد الحر، وأقل ركعاتها إثنتان وأكثرها ثمانى ركعات.

أخرج سعيد بن منصور عن الحسن أنه سُئل: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلونها؟ فقال: نعم كان منهم من يصلى ركعتين، ومنهم من يصلى أربعاً، ومنهم من يمد إلى نصف النهار. . وهكذا نرى المسلم مع الله عز وجل فى كل أوقاته، فى فجره وضحاه، وفى ظهره وعصره، وفى مسائه وعشائه، وفى ليله وإصباحه، ومن كان مع الله كان الله معه، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿٩٧﴾ ﴾[2].

فى الصلاة وبعدها:

عن على رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر مايقول بين التشهد والتسليم «اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت وماأسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى: أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان يُكثر رسول الله ﷺ أن يقول فى ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى» وقالت: «افتقدت

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) النحل: ٩٧.

النبى ﷺ ذات ليلة فتطلبته فإذا هو راكع أو ساجد. . يقول: اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لاأحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وكان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له المُلك وله الحمد وهو على كل شىء قدير؛ اللهم لامانع لما أعطيت ولا مُعطى لما منعت ولاينفع ذا الجد[١] منك الجد[٢]».

ولك أن تدعو فى صلاتك ماتشاء لنفسك أولأهلك أو لأُمتك وللمسلمين أجمعين وذلك بعد الإنتهاء من التحيات، وأفضل الدعاء أثناء السجود بين يدى الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء. فإذا انتهيت من الصلاة شكرت ربك وحمدته ودعوت بالدعوات المأثورة عقب الصلوات، وسبحت ربك ثلاثاً وثلاثين، وحمدته ثلاثا وثلاثين، وكبرته ثلاثاً وثلاثين، وإذا شئت جمعتها بقولك: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة. . ، ثم تقول: سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

«اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك»[٣] وتدعو بما شاء لك من الدعاء.

قالت أم سلمة رضى الله عنها كان أكثر دعاء النبى ﷺ: «يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك»[٤].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه، إن أمسكت نفسى فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

---

(١) الجد: الحظ.

(٢) الجد: الغنى.

(٣) أخرج ابن السنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: لقينى رسول الله ﷺ فأخذ بيدى فقال: « أنا أُحبك فى الله. قلت: وأنا والله يارسول الله أُحبك فى الله. . قال: أفلا أُعلمك كلمات تقولها فى دُبر صلاتك: «اللهم أعنى. . إلخ».

(٤) رواه الترمذى.

مساء الإنسان المسلم وليلته

يدخل وقت المغرب عند مغيب الشمس ويحين موعد صلاة المغرب وهى وتر النهار، فإذا استمعت المؤذن، فقل مثل مايقول.. فإذا قال المؤذن حى على الصلاة حى على الفلاح فقل: لاحول ولاقوة إلا بالله.. فإذا انتهى المؤذن دعوت بالدعاء المأثور الذى تستحق به شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة: «اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته»[1]. وهذا الدعاء يدعو به الإنسان المسلم عقب كل آذان فى الصلوات الخمس.

وقال النبى ﷺ: «من قال حين يسمع المؤذن: «وأنا أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا، وبمحمد نبياً ورسولاً، غُفر له ماتقدم من ذنبه»[2].

فإذا انتهيت من الدعاء عقب الآذان يجوز لك أن تتطوع بصلاة ركعتين خفيفتين وهى سُنة اختيارية وثبت أن النبى ﷺ قال: صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، ثم قال فى الثالثة «لمن شاء»[3] كراهية أن يتخذها الناس سُنة دائمة وثابتة. فإذا لم تر فى نفسك نشاطاً لصلاة ركعتين، فاذكر الله وادعُ الله عز وجل، ويُحسن أن تقرأ قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾**﴾[4] ثم تقول ماقاله النبى ﷺ لأم سلمة رضى الله عنها «قولى عند آذان المغرب: «اللهم هذا إقبال

---

(١) رواه أحمد والبخارى وغيرهما.

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذى وغيرهم.

(٣) رواه البخارى.

(٤) آل عمران: ٢٦، ٢٧.

ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعائك، وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي»[1].

وكل ماذكرناه في أدعية الصباح يصلح أن يكون أدعية للمساء بفرق بسيط وتغيير يناسب الوقت والمقام.. فرذا كنت قد دعوت في الصباح بالدعاء المأثور وقلت فيه «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله لاشريك له لا إله إلا الله وإليه النشور».. قلت في دعاء المساء: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لاشريك له، لاإله إلا الله وإليه المصير».. وهذا ينطبق على جميع أدعية الصباح التي سبق ذكرها.

وكذا تفعل في صلاة العشاء ويحسن فيها أن تؤخر صلاة الوتر وتجعلها آخر صلاة الليل حيث قال النبي ﷺ: «اجعلوا آخر صلاتكم وتراً».

صلاة التهجد وقيام الليل

قال الله تعالى يخاطب رسوله وحبيبه الأمين محمد بن عبد الله ﷺ: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

وهذا الأمر وإن كان خاصاً برسول الله ﷺ إذ التهجد فريضة عيه، فهو ليس كذلك على المؤمنين إذ هو صلاة تطوعية فمن صلاها نال ثوابها وأجرها، ومن تركها فلا إثم عليه.. إلا أن عامة المسلمين من جهة أخرى يدخلون في الحكم باعتبار أنهم مطالبون بالإقتداء برسول الله ﷺ، ولما ورد في فضل هذه الصلاة في جوف الليل فقد تسابق المسلمون الأول للقيام بصلاة الليل ومناجاة ربهم الحبيب إلى قلوبهم، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاه عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد». وقال سهل بن سعد:

---

(١) رواهالترمذي والحاكم.

(٢) الإسراء: ٧٩.

جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: يامُحمد عش ماشئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس.

وصلاة التطوع نور وضياء وبركة لبيت المؤمن، فقد قال النبى ﷺ: «صلاة الرجل فى بيته تطوعاً نور، فمن شاء نور بيته»[1]. . وقد شرعت صلاة التطوع رحمة بالعباد جبراً لماعسى أن يكون قد وقع منهم من نقص فى الفرائض، ولما فى الصلاة من فضيلة ليست لسائر العبادات، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول مايحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا لملائكته، وهو أعلم: انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدى من تطوع؟ فإن كان تطوع قال: أتموا لعبدى فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك».

وتصح صلاة التطوع منك وأنت جالس مع قدرتك على الوقوف والقيام، كما نصح إذا أديت بعضها قائماً، والبعض الآخر جالساً ولوكان ذلك في ركعة واحدة فبعضها يؤدى من قيام وبعضها من قعود سواء تقدم القيام أوتأخر كل ذلك جائز من غير كراهة. ويجلس المرء فيها كيف شاء والأفضل التربع: فقد روى مسلم عن علقمة قال: قلت لعائشة رضى الله عنها: كيف كان يصنع رسول الله ﷺ فى الركعتين وهو جالس؟ قالت: كان يقرأ فيهما فإذا أراد أن يركع قام فركع.

ويُسن لمن أراد التهجد وقيام الليل أن ينوى عند نومه قيام الليل، فقد ورد عن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: «من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم فيصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له مانوى، وكان نومه صدقة من ربه» فأنت ترى أنك إذا نويت قيام الليل فغلبك النوم كُتب لك أجره وثوابه بفضل الله

---

(١) رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

وكرمه. . وقبل النوم يقول الإنسان المسلم: «باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه، فإن أمسكت روحى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[١] ثم يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» ثلاث مرات.

ثم يقرأ الفاتحة وآية الكرسى، ولإيلف قريش[٢] والمعوذات[٣] يمسح بهما ماشاء من جسده. يفعل ذلك ثلاث مرات.

* يبدأ المسلم صلاة الليل بركعتين خفيفتين ثم يصلى بعدها ماشاء، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: إذا قام من الليل يصلي، افتتح الصلاة بركعتين خفيفتين، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين».

* أن يوقظ الرجل أهله لتشاركه فى هذه العبادة المباركة وتنال معه الأجر والثواب فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «رحم الله إمرءاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإذا أبت نضح فى وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء» وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعاً كتب من الذاكرين والذاكرات» رواهما أبو داود.

---

(١) رواه ابن السنى.

(٢) فهى أمان من الخوف.

(٣) المعوذات: قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس(رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما مااستطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وماأقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. قال أهل اللغة: النفث: نفخ لطيف بلا ريق.

* أن لايشق على نفسه بل يقوم من الليل بقدر ماتتسع طاقته وصحته، فإذا غلبه النوم وشعر بالكسل والنعاس فعليه أن يرقد ويترك الصلاة حتى يذهب عنه النوم، قالت عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر مايقول فليضطجع» رواه مسلم.. وقال أنس: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: «ماهذا؟» قالوا: لزينب تصلى، إذا كسلت أوفترت أمسكت به. فقال حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليرقد» متفق عليه.

* إذا بدأ الأمر بقيام الليل ومَنّ الله عليه بأداء هذه الفريضة المباركة فعليه أن يواظب عليها ولايتركها إلالضرورة فقد سئُل رسول الله ﷺ: أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «أدومه وإن قل».

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان عمل رسول الله ﷺ ديمه، كان إذا عمل عملاً أثبته.

وقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما: ياعبد الله لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» متفق عليه.

* صلاة الليل ليس لها وقت محدد، فهى تجوز فى أول الليل ووسطه وآخره، مادامت تقام بعد صلاة العشاء.

قال أنس رضى الله عنه فى وصف صلاة النبى ﷺ: « ماكنا نشاء أن نراه من الليل مصلياً إلا رأيناه، وماكنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه، وكان يصوم من الشهر حتى نقول لايفطر منه شيئاً، ويفطر حتى نقول لايصوم منه شيئاً»[1].

قال الحافظ: لم يكن لتهجده ﷺ وقت معين بل بحسب مايتيسر له.

والمتفق عليه أن أفضل أوقاتها هو الثلث الأخير من الليل «وقت السَّحر» إذ أن النبى ﷺ أخبرنا فقال: « ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين

---

(١) رواه البخارى.

يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعونى فأستجب له.. من يسألنى فأعطيه.. من يستغفرنى فأغفر له»[1].

وقال مسلم لأبى ذر: أى قيام الليل أفضل؟ قال: سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى فقال: «جوف الليل الغابر وقليلٌ فاعله»[2].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من القائمين الليل، والمنيبين إلى الله عز وجل إنه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دعاء التهجد

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن، لك الحمد، أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت فاغفرلى ماقدمت وما أخرت، وماأسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلاأنت، ولاحول ولاقوة إلا بالله»[3].

وعنه رضى الله عنهما قال: كان النبى ﷺ إذا قام من الليل دعا الله فقال: «اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى لسانى نوراً، وفى سمعى نوراً، وفى بصرى نوراً ومن فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً، وعن يمينى نوراً، وعن شمالى نوراً، ومن خلفى نوراً، واجعل فى نفسى نوراً، واعظم لى نوراً»[4].

---

(١) رواه الجماعة.

(٢) رواه أحمد بإسناد جيد.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم.

(٤) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى.

الذاكرون الله كثيراً والذاكرات

قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1].

سئل ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآيات فقال: إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، وعذر أهلها حال العذر، غير الذكر فإن الله لم يجعل له حداً ينتهى إليه ولم يعذر أحداً فى تركــه فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[2] أى بالليل والنهار، فى البر والبحر، وفى السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال.

وقال فى الحديث القدسى: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرّب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً،وإن أتانى يمشى أتيته هرولة».

وشهد أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة رضى الله عنهما رسول الله ﷺ يقول: «لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده.»

وقال رجل لرسول الله ﷺ: يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على، فأخبرنى بشىء أتشبث به، قال: «لايزال لسانك رطباً من ذكر الله».

إن الذى يذكر الله يذكره الله، مصداقاً لقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

اذكـرونى وقـت الرخـاء.. أذكركم عندما تضيق الدنيا فى وجوهكم،

---

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) النساء: ١٠٣.

اذكرونى بدوام العبادة.. أذكركم بكثرة التفضل ودوام الإحسان، اذكرونى فى الدنيا.. أذكركم فى الآخرة.

اذكرونى بالتسبيح والتنزيه والتمجيد والدعاء.. أذكركم بتحقيق رغبائبكم وإجابة دعائكم ومطالبكم.

اذكرونى بألسنتكم تردد أسمائى، وبعقولكم تتفكر فى خلقى ومخلوقاتى، وبأفئدتكم تسشعر عظمتى وجلالى.. أذكركم وأهدكم وأنعم عليكم وأوافقكم، وأرض عنكم.

قال ثابت البنانى: «إنى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل.. ففزعوا منه، وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ قال: «إذا ذكرته ذكرنى»[1].

ولايشغل ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان عن عمله: ولقد كان الكثير من كبار الصحابة من كبار التجار ولم يمنعهم ذلك عن أن يكونوا من كبار الذاكرين أصحاب حرف ومهن.. فقد كان منهم «الخواص»، «والخزاز»، «والصباغ»، «والحصرى»، «والصيرفى»، «والقفال»، «والحصاد» «والحراس»، «والفراء»، «والمقرىء»، وفضلاً عن اشتغالهم الذى لايفتر بتعليم المسلمين وهدايتهم.

ويحدث الصحابى الجليل «معاذ بن جبل» رضى الله عنه فيقول: فيما رواه الطبرانى وغيره: «إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت: أى الأعمال أحب إلى الله؟

قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله».

ومن أجمل الوصايا التى أوصى بها رسول الله ﷺ وأنفسها؛ ووصاياه كلها عليه الصلاة والسلام جميلة نفيسة - وصيته لأم أنس حينما قالت له: يارسول الله أوصنى..

قال: «أهجرى المعاصى، وأكثرى من ذكر الله، فإنك لاتأتين بشىء أحب إليه من كثرة ذكره».

وإن من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله: «رجل ذكر الله

---

(١) ص ٢٠١ من كتاب إحياء علوم الدين.

خالياً ففاضت عيناه من خشية الله».

وروى البيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين».

قال الإمام الصاوى: «وينبغى للإنسان أن يذكر الله كثيراً.. لقوله تعالى:

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

ويقول الإمام القشيرى: «والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة فى هذا الطريق، ولايصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر».

(١) الأحزاب: ٣٥.

صيغ الذكر

١ـ الإستغفار:

ويبتدىء الذكر بالإستغفار، ولقد قال رسول الله ﷺ فى شأن الإستغفار الخالص: «من أكثر من الإستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لايحتسب» وهذا الحديث الشريف يسير فى إنسجام مع قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾[1].

ويروى علقمة وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: «فى كتاب الله عز وجل آيتان، ماأذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[3].

ومن دعاء الرسول ﷺ الجميل: «اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا».

وسيد الإستغفار كما أخبر الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه «اللهم أنت ربى، لاإله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ماأستطعت، أعوذ بك من شر ماصنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى، فاغفرلى فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت».

---

(١) نوح: ١٠

(٢) آل عمران: ١٣٥.

(٣) النساء: ١١٠.

ويروى الإمام الغزالى عن بعض العلماء قوله: «العبد بين ذنب ونعمة، لايصلحهما إلا الاستغفار والحمد».

ويُروى عن قتادة رحمه الله أنه قال: «القرآن يدلكم على داءكم ودواءكم، أما داؤكم فالذنوب، وأما دواءكم فالإستغفار».

٢-قراءة القرآن:

اعلم أن تلاوة القرآن هى أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر..

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[1].

ولقد حث الله على تلاوته فقال: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2].

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[4].

وقال رسول الله ﷺ: «إقرأوا القرآن فإنه يأتى شفيعاً لأصحابه»[5].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لاأقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[6].

---

(١) ص: ٢٩

(٢) الإسراء: ٧٨.

(٣) فاطر: ٢٩.

(٤) المزمل: ٤.

(٥) رواه البخارى.

(٦) رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

وقال: «إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[1].

وقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وفى رواية «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

روى ابن السُنى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ فى يوم وليلة خمسين آية لم يُكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة كتب له قنطار من الأجر» وفى رواية «من قرأ أربعين آية» بدل خمسين وفى رواية «عشرين» وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ عشرآيات لم يُكتب من الغافلين» وجاء فى هذا الباب أحاديث كثيرة بنحو هذا.

ووردت أحاديث كثيرة تحث على قراءة سورة من القرآن فى اليوم والليلة منها سور: يس، تبارك، والملك، والواقعة، والدخان.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ: «من قرأ يس فى يوم وليله ابتغاء وجه الله غُفِر له».

وفى رواية له: «من قرأ سورة الدخان فى ليلة أصبح مغفوراً له».

وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تُصبه فاقة».

وعن جابر رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ لاينام كل ليله حتى يقرأ: «ألم تنزيل الكتاب، وتبارك المُلك».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من قرأ فى ليله إذا زلزلت الأرض زلزالها كانت له كعدل نصف القرآن، ومن قرأ قل ياأيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن، ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل ثلث القرآن». «رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما».

---

(١) رواه البخارى

وفى رواية «عمن قرأ آية الكرسى وأول حم عُصِم ذلك اليوم من كل سوء».

وقال رسول الله ﷺ: «ماأنزل الله آية أرجى من قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾[1] فدخرتها لأُمتى إلى يوم القيامة» (رواه الديلمى عن على رضى الله عنه).

وقال ﷺ: «من قرأ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١] عدل ربُع القرآن» ـ رواه الديلمى عن أنس رضى الله عنه.

وقال ﷺ: «قارىء التكاثر يُدعى فى الملكوت مؤدى الشكر» ـ رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها.

وقال أبو الحسن القزوينى: من أراد السفر فـفزع من عدو أو وحـش فليقرأ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] فإنها أمان له من كل سوء.

وقال رسول الله ﷺ: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تُمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» ـ رواه أحمد والترمذى والنسائى عن عبد الله ابن حبيب رضى الله عنه. والأحاديث بنحو ماذكرنا كثيرة، وقد أشرنا إلى المقاصد والله أعلم بالصواب وله الحمد والنعمة، وبه التوفيق والعصمة.

إن القرآن كنز ثمين وكله كريم وعظيم ونافع وكل سورة بل كل آية منه فيها نور، ،وفيها ضياء وفيها هدى للمتقين، وماأصدق قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾[2].

٣- التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة[3].

روى الترمذى بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير ماقلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل

(١) الضحى: ٥.

(٢) الإسراء: ٩ ـ ١٠.

(٣) التهليل: لا إله إلا الله، والتسبيح: سبحان الله، والتحميد: الحمد لله، والتكبير: الله أكبر. الحوقلة: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

شيء قدير»، وروى الإمام البخارى بسنده عن عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولاإله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لى، غُفر له أو دعا أُستجيب له، فإن توضأ وصلى قُبلت صلاته».

وبحديث الحاكم الذى قال عنه صحيح الإسناد: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله».

ومن كلام الإمام الغزالى: «نسأل الله تعالى أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لاإله إلا الله، حالاً ومقالاً، وظاهراً أو باطنا، حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها، بل متبرمين بها، ومحبين لقاء الله، فإن من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه».

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه»[١].

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لايضرك بأيهن بدأت»[٢].

وعن جويرية رضى الله عنها أن النبى ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال: مازلت على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبى ﷺ: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بماقلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشة، ومداد كلماته»[٣].

---

(١) رواه الترمذى.

(٢) مسلم وابن ماجة.

(٣) مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة والترمذى.

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «قل لاحول ولاقوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[2].

ومن ثم ينبغى للمسلم أن يفتتح كل عمل من أعماله الخيِّرة بقوله: «الحمد لله».

فهذه الثمار الزكية ينبغى للمسلم أن يداوم عليها، لينال ماترتب عليها من ثواب جزيل، ورضوان جم، لأنها من دعاء أهل الجنة، بل هى آخر دعواهم: **﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾**[3].

٤- الصلاة على النبى ﷺ:

ومن الذكر الصلاة على خير المرسلين، يقول الله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿٥٦﴾ ﴾**[4].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بى يوم القيامة، إكثرهم علىّ صلاة»[5].

وعن علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البخيل من ذكرت عنده فلم يُصل علىّ»[6].

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أكثروا من الصلاة علىَّ يوم الجمعة، فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً لن يُصلى علىّ إلا

---

(١) ابن ماجة وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه.

(٢) متفق عليه.

(٣) يونس: ١٠ ـ ١١.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) الترمذى وقال حديث حسن.

(٦) رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

عُرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها، قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»[1].

وروى الترمذى وقال حديث حسن، عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ماقعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة».

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على، قالوا:

«يارسول الله، وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت، يعنى بليت؟ فقال: إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[2].

ولقد تفنن الصالحون فى صيغ الصلاة على النبى ﷺ، حتى أنه ليجد الإنسان مالايكاد يُعد أو يُحصى من هذه الصيغ، وفيها النور، وفيها الإشراق والصفاء.

نذكر منها أولا الصلاة الإبراهيمية، وهى خاصة للصلاة عقب التشهد الأخير: «اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد».

ومنها: « اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك: عدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك. ومداد كلماتك» وهى للعارف بالله الشيخ عبدالفتاح القاضى.

ومن الصيغ التى يرددها الصالحون كثيراً: «اللهم صل على سيدنا محمد، صلاة تُنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضى لنا بها جميع الحاجات،

(١) رواه ابن ماجة بإسناد جيد.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم.

وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات»[1].

ومنها: «اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى الطاهر الذكى، صلاةً تحل بها العقد وتفك بها الكروب»[2].

وبالجملة: فالصلاة على النبى أمرها عظيم، وفضلها جسيم، وهى من أفضل الطاعات وأجل القربات، حتى قال بعض العارفين:

«إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها، لأنها تُعرض عليه، ويُصلى على المصلى، بخلاف غيرها من الأذكار، فلابد فيها من الشيخ العارف، وإلا دخلها الشيطان، ولم ينتفع صاحبها بها».

ويقول الشاعر العربى:

إذا كنت فى ضيق وهمّ وفاقةٍ   وأمسيت مكروباً وأصبحت فى حرج
فصل على المختار من آل هاشم   كثيراً فإن الله يأتيك بالفرج

(١) هذه الصلاة واردة فى الدلائل.

(٢) هذه الصلاة ذكرها الزبيدى فى مختصر البخارى فى كتاب الصلاة «الصلاة والفوائد»، وقال عنها بعض الصالحين: إنها مجربة به فى تفريج الكرب.

الفصل الثامن

من مختارات الدعاء

* **عند الطعام والشراب:** قال ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله، أي يقول: «بسم الله»، فإن نسى أن يذكر الله فى أوله فليقل بسم الله على أوله وآخره[1]».

* كان صلى الله عليه وسلم إذا أكل أو شرب قال: الحمد لله الذى أطعم وسقى، وسوغه وجعل له مخرجاً[2].

* **عند الإفطار من صوم:** كان ﷺ إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[3].

* وعن معاذ بن زهرة أن النبى ﷺ كان إذا أفطر قال: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت»[4].

* **إذا أفطر عند قوم:** كان النبى ﷺ إذا أفطر عند قوم قال: «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار، وتنزلت عليكم الملائكة»[5].

* **عند الخروج من البيت وعند الدخول:** قالﷺ: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، لاحول ولاقوة إلا بالله، فيقال له حسبك قد هُديت وكُفيت ووقيت، فيتنحى له الشيطان، فيقول له شيطان آخر كيف لك برجل قد هُدى وكُفى ووقى»[6].

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذى والحاكم عن عائشة رضى الله عنها.

(٢) حديث صحيح رواه أبوو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه عن أبى أيوب.

(٣) حديث حسن رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر.

(٤) رواه أبو داود مرسلاً.

(٥) حديث صحيح رواه أحمد والبيهقى عن أنس، وفى رواية الترمذى «وصلت عليكم الملائكة».

(٦) حديث صحيح رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه عن أنس.

* أوصى رسول الله ﷺ المسلم أن يُسمِّ الله حين يدخل بيته وحين يطعم حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل «يقول بسم الله».

* وقال ﷺ: إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إنى أسألك خير المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم يسلم على أهله»[1].

- **إفشاء السلام:** قال ﷺ: «يأأيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام، وصِلوا الارحام، وصلّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[2].

- **عند دخول السوق:** قال ﷺ: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يُحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير، وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتاً فى الجنة»[3].

* وروى الطبرانى عن بريدة يرفعه: «اللهم إنى أسألك من خير هذه السوق وخير مافيها، وأعوذ بك من شرها وشر مافيها، اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة».

*** عند رؤية النعمة على نفسه أوعلى غيره:**

قال ﷺ: «إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه مايعجبه فليدع له بالبركة»[4].

* قال ﷺ: «ماأنعم الله على عبد نعمة فى أهله وماله وولده فقال: ماشاء الله لاقوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت» أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد.

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود والطبرانى عن أبى مالك الأشعرى.
(٢) صحيح، رواه أحمد والترمذى ،والحاكم عن عبد الله بن سلام.
(٣) حديث حسن رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر.
(٤) صحيح، رواه أبو يعلى والطبرانى والحاكم عن عامر بن ربيعة.

*** عند رؤية أهل البلاء:**

وقال ﷺ: «من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذى عافانى ممابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء»[١].

*** فى الجزاء على المعروف:**

وعنه ﷺ أنه قال: «إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيراً فقد أبلغ فى الثناء»[٢].

عند سماع صياح الديكه: قال ﷺ: «إذا سمعتم أصوات الديكه فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً»[٣] والدعاء عند صياح الديكه أرجى بالقبول.

*** إذا سألك أحدهم شيئاً:**

يقول رسول الله ﷺ : «من استعاذكم بالله فأعينوه، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ماتكفئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه»[٤] وقد قالوا: الدعاء للسائل أحد العطائين.

*** إذا تصدقت على أحد:**

فادعوا بالآية الكريمة: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ منَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة: ١٢٧].

*** إذا اقتنى شيئاً:**

كان ﷺ: إذا استجد ثوباً سماه بإسمه قميصاً أوعمامة أو رداء، ثم يقول:

---

(١) حديث حسن رواه الترمذى عن أبى هريرة، قال الطيبى: فيه أشعار بأن الكلام ليس فيه مبتلى بنحو مرض أونقص خلقه بل لكونه عاصياً.. ولوكان المراد المرض لم يحسن الخطاب بقوله وفضلنى عليك.. وقالوا بأن يظهر ذلك للعاصى ويسمعه إذا لم يخف فتنة.

(٢) حديث صحيح رواه ابن منيع والخطيب عن أبى هريرة، والخطيب عن ابن عمر.

(٣) صحيح رواه أحمد و البيهقى وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة.

(٤) صحيح رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن عمر.

اللهم لك الحمد، أنت كسوتنيه، أسألك من خيره، وخير ماصُنع له، وأعوذ بك من شره، وشرماصُنع له»[1].

* إذا رأى مايحب أو يكره:

كان ﷺ إذا رأى مايحب قال: «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات»، وإذا رأى مايكره قال: الحمد لله على كل حال[2] لأن شدائد الدنيا تعود بالخير الكثير فى العاقبة، فتستأهل الحمد على ماسيكون «فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً».

* إذا رأى مايخالف الدين:

على المسلم أن يقول: اللهم هذا منكر لايرضيك، وهذا مع الإنكار بالقلب، هذا فى حالة العجز عن التغيير باليد أو النصح.

* إذا راعه شيء:

كان ﷺ إذا راعه شيء قال: الله الله ربى، لاشريك له[3].

* إذا خاف قوماً: أى خاف شرهم:

كان ﷺ إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم[4] أى تصد صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمرهم.

* دعاء استغفار المجلس:

كان ﷺ لايقوم من مجلس إلا قال: سبحانك اللهم ربى وبحمدك، لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك، وقال: لايقوله أحد حيث يقوم من مجلس إلا غفر له ماكان منه فى ذلك المجلس[5] وفى رواية: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك.

---

(١) صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن أبى سعيد.

(٢) صحيح رواه ابن ماجة عن عائشة.

(٣) صحيح رواه النسائى عن ثوبان.

(٤) صحيح رواه أحمد أبو داود والحاكم والبيهقى عن أبى موسى.

(٥) حديث صحيح رواه الحاكم عن عائشة.

دعوات فى المناسبات المختلفة

فى التهنئة بالزواج:

كان ﷺ إذا رفأ الإنسان «إذا تزوج» قال: بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكم فى خير»[1].

*** فى توديع المسافر لمن يخلفه:**

قال رسول الله ﷺ: من أراد سفراً فليقل لمن يخلف: استودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه[2].

*** فى توديع الناس للمسافر:**

كان النبى ﷺ يودعنا فيقول: استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك[3].

*** عند ركوب الدابة للسفر:**

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: كان رسول الله ﷺ إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر. كبر ثلاثاً ثم قال: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** ﴿١٣﴾ ﴾. [الزخرف: ١٣] اللهم نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطوِعَّنا بُعْده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل»[4].

*** وإذا رجع قالهن وزاد فيهن:**

آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون.

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة.

(٢) حديث حسن رواه أحمد وابن السنى عن أبى هريرة.

(٣) حديث حسن رواه الترمذى عن ابن عمر والحديث الصحيح: إن الله استودع شيئاً حفظه، رواه ابن حبان والبيهقى عن ابن عمر..

(٤) رواه مسلم فى الحج.

* **الذكر على الدابة الصعبة:**

قال يونس بن عبيد[1]: ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها «أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يُرجعون» إلا وقفت بإذن الله تعالى.

* **عند رؤية الفجر:**

كان رسول الله ﷺ إذا كان فى سفر وأسحر قال: سمع سامع بحمد الله وحُسن بلائه علينا، ، ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار»[2].

* **عند رؤية الهلال:**

كان ﷺ إذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا باليُمن والإيمان والإسلام، ربى وربك بالله[3].

* **عند كسوف الشمس وخسوف القمر:**

قال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لايخسفان لموت أحد ولالحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»[4].

* **إذا عصفت الريح:**

كان ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إنى أسألك خيرها وخير مافيها، وخير ماأرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر مافيها، وشر ماأرسلت به»[5].

* **عند سماع الرعد:**

فليقل: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]

---

(١) يونس بن عبيد تابعى ثقة.

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه سُمع بالتشديد أى فليبلغ من يسمع دعاءنا هذا.

(٣) حديث حسن رواه أحمد والترمذى والحاكم عن طلحة.

(٤) رواه مالك وأحمد والبيهقى وأبو داود والنسائى عن عائشة وهو حديث صحيح.

(٥) حديث صحيح رواه أحمد ومسلم والترمذى عن عائشة.

• عند سقوط المطر:

كان ﷺ إذا رأى المطر قال: «اللهم صيباً نافعاً»[1] والصيب: المطر.

• إذا اشتد المطر وخشى معه الناس الضرر:

«اللهم حوالينا ولاعلينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر[2].

• عند انفلات الدابة:

إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض خلاه فليناد: ياعباد الله احبسوا عليّ دابتى، فإن لله فى الأرض عز وجل حاضراً[3] سيحبسه عليكم[4].

• عندما ينزل موضعاً أو مكاناً:

قال ﷺ: من ينزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرماخلق لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك[5].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: ياأرض ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر مافيك، وشر ماخلق فيك، وشر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»[6].

• العودة من السفر:

قال عبد الله بن عمر كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو،أوحج، أو اعتمر، يكبر على كل شرف من الأرض «مكان مرتفع» ثلاث مرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير،

---

(١) صحيح رواه البخارى عن عائشة.

(٢) رواه البخارى عن أنس والآكام مرتفعات دون الجبل وأعلى من الروابى والظراب يعنى الروابى الصغيرة.

(٣) فإن لله فى الأرض حاضراً أى خلقاً من خلقه إنسياً أو جنياً أو ملكاً لايغيب.

(٤) حديث ضعيف رواه أبو يعلى وابن السنى والطبرانى عن ابن مسعود يرفعه وقال المناوى: إذا قيل ذلك بنية صادقة وتوجه تام حصل المراد بعون الجواد «فيض القدير ١ / ٣٠٧».

(٥) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن خولة بنت حكيم، صحييح وقال حديث صحيح.

(٦) رواه أبو داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، والأسود: العظيم من الحيات.

آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[1].

*** عند القتال:**

كان ﷺ إذا غزا قال: «اللهم أنت عضدى، وأنت نصيرى، بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل»[2].

*** لسداد الديون:**

قال ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال»[3].

*** الاستعاذة من المرض والمصائب:**

قال ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من البرص والجنون والجُذام ومن سيء السقام»[4].

وقال ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من التردى والهدم والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً»[5].

*** التعوذ من جار السوء:**

قال ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة، فإن جار البادية يتحول»[6].

---

(١) رواه البخارى ،ومسلم ومالك وأحمد وأبو دواد والترمذى/ صحيح.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن حبان والضياء عن أنس.

(٣) حديث صحيح أحمد والبيهقى وأبو داود والترمذى والنسائى عن انس، ضلع الدين: ثقله الذى يميل بصاحبه عن الإستواء.

(٤) صحيح رواه الحاكم عن أبى هريرة.

(٥) صحيح رواه النسائى والحاكم عن أبى اليسر.

(٦) حديث حسن رواه الحكم عن أبى هريرة.

* **التعوذ من منكرات الأخلاق:**

قال ﷺ: « اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»[1]. والأهواء: الإنهماك فى الشهوات، والأدواء: جمع داء.

* **التعوذ من السوء:**

اللهم إنى أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء فى دار المقامة[2].

* **سؤال الله حجة:**

قال ﷺ: «اللهم حُجة لارياء فيها ولاسُمعة»[3].

* **التعوذ من النار:**

قال ﷺ: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ «نعوذ بك من النار»[4]. وقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم رب جبريل وميكائيل، ورب إسرافيل أعوذ بك من حر النار ومن عذاب القبر»[5].

* **سؤال حُسن الخلق «وعند النظر فى المرآه»:**

قال ﷺ: «اللهم كما حسنت خلقى فحسن خُلقى»[6].

* **الدعاء للوالدين بالرحمة:**

يقول الله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

يقول القشيرى فى لطائف الإشارات: اخفض لهما جناح الذل بحُسْن المداراة ولين الخلق، والبدار إلى الخدمة وسرعة الإجابة، وترك البرم بمطالبهما، والصبر

---

(١) صحيح رواه الترمذى والطبرانى والحاكم عن عم زياد بن علاقة.

(٢) حديث حسن رواه االطبرانى عن عقبة بن عامر.

(٣) صحيح رواه ابن ماجة عن أنس.

(٤) حديث حسن رواه الطبرانى والحاكم عن والد أبى المليح.

(٥) حديث حسن رواه النسائى عن عائشة.

(٦) حديث صحيح رواه أحمد عن ابن مسعود.

على أمرهما، وألا تدخر عنهما ميسوراً، هذا فى حال الحياة، فأما بعد وفاتهما فيصدق لهما الدعاء بالمغفرة والرحمة.

*** الدعاء عند الكرب:**

كان رسول الله ﷺ يدعو عند الكرب: « اللهم لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم»[1].

وكان ﷺ إذا كربه أمر قال: «ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث»[2].

*** حتى يسكن الغضب:**

قال ﷺ: إذا غضب الرجل فقال: أعوذ بالله سكن غضبه[3].

*** إذا عطس أحدكم:**

إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، وليقل له: يرحمك الله وليقل هو: يغفر الله لنا ولكم.[4].

وعنه ﷺ أنه قال: إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال، وليقل له من حوله: يرحمك الله، وليقل هو لمن حوله: يهديكم الله ويصلح بالكم[5].

*** تلقين الميت:**

كان رسول ﷺ يقول: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله الحكيم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، قالوا: يارسول الله فكيف هى للحى؟ قال: أجود وأجود[6].

---

(١) حديث رواه الشيخان والترمذى وأحمد عن ابن عباس والطبرانى وزاد: وأصرف عنى شر فلان.

(٢) حديث حسن رواه الترمذى عن أنس.

(٣) صحيح رواه ابن عدى عن أبى هريرة.

(٤) رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان، صحيح.

(٥) رواه أحمد وغيره عن أبى أيوب، وابن ماجة وغيره عن على/ صحيح الجامع الصغير.

(٦) رواه مسلم فى الجنائز.

* **الدعاء عند سكرات الموت:**

قال ﷺ: «اللهم أعنى على عُسرات الموت، وسكرات الموت»[1].

* **عند دفن الموتى:**

كان ﷺ إذا وضع الميت فى لحده قال: بسم الله وبالله، وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله[2].

وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا الله لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل[3].

* **فى صلاة الجنازة:**

قال عوف بن مالك: صلى رسول الله ﷺ ، على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه،وعافه ،واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره،وأهلاً خيراً من أهله، وزوجا خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، قال «أى عوف»: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت لدعاء رسول الله ﷺ، وفى لفظ وقه فتنة القبر وعذاب النار»[4].

* **فى العزاء:**

فى العزاء يسلم ويقول: إن لله ما أخذ وله أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب[5].

* **زيارة القبور والمرور بها:**

قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[6].

---

(١) رواه الترمذى عن عائشة.

(٢) صحيح/ رواه أبو داود والترمذى والبيهقى عن ابن عمر.

(٣) صحيح/ رواه أبو داود عن عثمان.

(٤) رواه مسلم فى الجنائز.

(٥) رواه مسلم في الجنائز.

(٦) صحيح/ رواه مسلم والنسائي عن عائشة.

* **دعاء أم سلمة رضى الله عنها لما مات زوجها:**

قولى اللهم اغفر لى وله، واعقبنى منه عقبى حسنة[1].

* **للغنى وسداد الدين:**

قولى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شىء، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء، اقض عنى الدين واغننى من الفقر[2].

* **للتعوّذ من زوال النعمة:**

اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك[3].

* **سؤال اتساع الرزق عند كبر السن:**

«اللهم اجعل أوسع رزقك علىّ عند كبر سنى وانقطاع عمرى»[4].

* **الدعاء للمريض:**

قال ﷺ: «إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشف عبدك فلانا، ينكأ لك عدواً، أو يمش لك إلى الصلاة»[5].

* **سؤال الشفاء:**

قال ﷺ: اللهم رب الناس، مذهب البأس، أشف أنت الشافى، لاشافى إلا أنت، أشف شفاء لايغادر سُقما»[6].

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم عن أم سلمة.

(٢) صحيح رواه الترمذى وأبو داود وابن حبان عن أبى هريرة.

(٣) صحيح رواه مسلم والترمذى وأبو داود عن ابن عمر.

(٤) حديث حسن رواه الحاكم عن عائشة.

(٥) حديث حسن رواه أحمد وأبو داود وابن السنى والطبرانى والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٦) صحيح رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس.

* **النهى عن تمنى الموت والدعاء به:**

فى مسند الإمام الربيع «حديث ٩٩٤» عن جابر بن يزيد رضى الله عن النبى ﷺ قال: «لايتمنى أحدكم الموت ولايدع به إلا أن يكون قد وثق بعمله، وهذا الإستثناء تأكيد للنهى فحقيقة الأمر أنه لايثق مؤمن بعمله.

ويقول رسول الله ﷺ: «خير الناس من طال عمره وحُسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله»[1].

فطول العمر فسحة للعبد الصالح، وبالعمل الصالح يزداد كل يوم قُرباً من ربه، وإن كان العبد مسيئاً فلعله يستعتب، أى يتوب عن المعاصى بالإقلاع عنها، والإستغفار والتوبة الصادقة، ويتدارك مافاته من تحصيل الخير، ويطلب عقبى الله أى رضاه. والحديث: «لايتمنى أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب»[2].

قال رجل ليحيى بن معاذ الرازى: إنك لتحب الدنيا. فقال الرازى: أين السائل عن الآخرة؟ قال: ها أنا. . ودار بينهما الحوار التالى[3].

الرازى: أخبرنى أيها السائل عن الآخرة، أبالطاعة تُنال أم بالمعصية؟

الرجل: لابل بالطاعة.

الرازى: فأخبرنى عن الطاعة، بالحياة تُنال أم بالممات؟

الرجل: لا، بل بالحياة.

الرازى: فأخبرنى عن الحياة، بالقوت تُنال أم بغيره؟

الرجل: لا بل بالقوت.

الرازى: فأخبرنى عن القوت، أمن الدنيا هو أم من الآخرة؟

الرجل: لا، بل من الدنيا.

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن أبى بكرة / صحيح.

(٢) رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أبى هريرة/ صحيح.

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقن: ٣٢٥.

الرازى: فكيف لاأحب دنيا قُدر لى فيها قوت اكتسب به حياة، أدرك به طاعة، أنال بها الآخرة.

فقال الرجل: أشهد أن ذلك معنى قول النبى ﷺ: «إن من البيان لسحراً»(١).

*** فى علاج الأمراض:**

قال ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة، أى بجوار الأدوية الحسنة بسؤال الله الشفاء، وبالتصدق وفعل الخيرات وإغاثة المحتاجين مع النية «صحيح الجامع الصغير».

*** آيات الشفاء:**

١- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

٢- ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

٤- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٥- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾ [الشعراء: ٨٠].

٦- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقد مرض لأبى القاسم القشيرى رحمه الله ولد، ولما اشتد مرضه أهمه الأمر، وذات ليلة رأى رسول الله ﷺ فى المنام وشكا مرض ولده، فقال له النبى ﷺ: أين أنت من آيات الشفاء؟ فقام من نومه يفكر، وانتهى إلى أنها فى ستة مواضع من كتاب الله، يقول القشيرى: فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته إياها، فكأنما نشط من عقال.

---

(١) حديث صحيح رواه مالك وأحمد والبخارى وأبو داود والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما.

*** دعاء ليلة القدر:**

عن عائشة رضى الله عنها قالت: يارسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ماأدعو؟ قال: «تقولين اللهم إنك تحب العفو فاعفوا عنى».

*** الدعاء والذكر فى الحج[1]:**

لبيك اللهم لبيك.. لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. تبدأ التلبية من الإحرام حتى رمى الحصاة، الأولى يوم النحر، وللمعتمر حتى يستلم الحجر، وموطنها عند الركوب أو النزول أو صعد مكاناً مرتفعاً، أوهبط واديا، أو لقى ركباً، وفى دبر كل صلاة.

*** عند دخول المسجد الحرام:**

يدخل من باب السلام ويقول: أعوذ بالله العظيم، ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم. بسم الله، اللهم صلّ على محمد وآله وسلم، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك.

*** عند رؤية البيت «الكعبة»:**

عن ابن جريج أن النبى ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال: اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً وبراً.

وكان الفاروق عمر رضى الله عنه إذا نظر إلى البيت قال: اللهم أنت السلام، ومنك السلام.

*** عند استلام الحجر أو إستقباله:**

عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يستلم الحجر يقول: اللهم إيمانا بك وتصديقاً بكتابك، ووفاءاً لعهدك، واتباعاً لسُنة نبيك، بسم الله والله أكبر، ثم يصلى على النبى ﷺ ثم يستلمه.

---

(١) بعض أركان الحج بعامة والطواف بخاصة ليس لها ذكر معين حدده الشارع، ولكن هذه أماكن مباركة وعلى المرء أن يدعو فيها لنفسه ولأهل ولإخوانه المسلمين.

*** إذا أخذ فى الطواف:**

قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله.

*** وفى طوافه إذا انتهى إلى الركن اليمانى:**

دعا فقال: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

*** وفى طوافه كلما حاذى الحجر الأسود:**

قال الإمام الشافعى: أحب كلما حاذى الحجر الأسود أن يكبّر، وأن يقول فى رمله. اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً.

*** ويقول فى الطواف عند كل شوط:**

رب اغفر لى وارحم، واعف عما تعلم، وأنت الأعز الأكرم، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

*** وبين الركنين:**

عن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه كان يقول بين الركنين: اللهم قنعنى بما رزقتنى، وبارك لى فيه، واخلف علىّ كل غائبة بخير.

*** عند السعى بين الصفا والمروة:**

يقرأ ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٥٨] وعندما يرى البيت يستقبله ويقول: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. يقول ثلاث مرات، ويدعو بين ذلك بما شاء له ولغيره يفعل ذلك فوق الصفاء وفوق المروة.

*** عند بئر زمزم:**

كان ابن عباس رضى الله عنهما إذا شرب من ماء زمزم قال: اللهم إنى أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء.

* **على عرفة:**

لا إله إلا الله وحده، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير.

اللهم اجعله فى بصرى نوراً، وفى سمعى نوراً،وفى قلبى نوراً، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر، وشتات الأمر، وشر مايلج فى النهار، وشر ماتهب به الرياح، وشر بوائق الدهر.

اللهم لك الحمد كالذى تقول، وخيراً مماتقول، اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، وإليك مآبى، ولك رب تراثى،اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر، وشتات الأمر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتهب به الرياح.

* **عند رمى الجمار:**

التكبير مع كل حصاة، وعند عبد الله بن مسعود وابن عمر رضى الله عنهما كانا يقولان عند رمى الجمار فى جمرة العقبة: اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً، ويدعو لنفسه وللمسلمين.

* **عند طواف الوداع:**

يُستحب للحاج عند طواف الوداع أن يدعو بالمأثور، فعن ابن عباس رضى الله عنهما: اللهم أنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حملتنى على ماسخرت لى من خلقك، وسترتنى فى بلاءك حتى بلغتنى .. بنعمتك .. إلى بيتك، وأعنتنى على أداء نسكى، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا، وإلا فمن الآن قبل أن ينأى عن بيتك دارى، فهذا أوان انصرافى إذا أذنت لى غير مستبدل بك ولابيتك، ولا راغب عنك، ولا عن بيتك. اللهم فأصحبنى العافية فى بدنى،والصحة فى جسمى، والعصمة فى دينى،وأحسن منقلبى، وارزقنى طاعتك مأأبقيتنى، واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة، إنك على كل شىء قدير.

قال الشافعى: احب إذا ودع البيت أن يقف فى الملتزم،وهو بين الركن والباب. ثم ذكر الحديث.

* **عند زيارة النبى ﷺ:**

يسلم على النبى ﷺ وصاحبيه، ويُثنى على النبى ﷺ بما هو أهله كأن يقول:

السلام عليك يارسول الله.. السلام عليك يانبى الله.. السلام عليك ياخيرة الله من خلقه، السلام عليك ياحبيب الله، السلام عليك ياسيد المرسلين.

وخاتم النبيين، السلام عليك وعلى آلك وأصحابك وأهل بيتك وعلى النبيين وسائر الصالحين،اشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، فجزاك الله عنا أفضل ماجزى رسولاً عن أمته. ثم يأتى الروضة بين القبر والمنبر فيكثر من الدعاء فيها.

* **وإذا أراد الخروج من المدينة والسفر:**

استحب أن يودع المسجد بركعتين،ويدعو بما أحب، ثم يأتى القبر فيسلم كما سلم أولاً، ويعيد الدعاء، ويودع النبى ﷺ ويقول: «اللهم لاتجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك، ويسّر لى العود إلى الحرمين سبيلاً سهلة بمنك وفضلك» وارزقنى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة، وردنا سالمين غانمين إلى أوطاننا آمنين.

* وعن العتبى قال: كنت جالساً عند قبر النبى ﷺ فجاء أعرابى فقال: السلام عليك يارسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾** ﴾[1].

وقد جئتك تائباً مستغفراً من ذنبى، مستشفعاً بك إلى ربى، ثم أنشأ يقول:

يــاخيــر من دُفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القـــاع والأكمُ

نفسى الفــداء لقبــر أنت ســاكنه ... فيه العفاف وفيهه الجــود والكرمُ

قال: ثم انصرف، فحملتنى عيناى فرأيت النبى ﷺ فى النوم فقال لى: ياعُتبى الحق الأعرابى فبشره بأن الله تعالى قد غفر له.

---

(١) النساء: ٦٤.

* **الإستعاذة من شر العمل:**

عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه: «اللهم إنى أعوذ بك من شر ماعملت وشر ما لم أعمل»(رواه مسلم).

* **حلّ السحر:**

يقول ابن القيم: سُئل النبى ﷺ عن النشرة فقال: هى من عمل الشيطان[١] والنشرة: حل السحر عن المسحور، وهى نوعان حل سحر بسحر مثله، وهو الذى من عمل الشيطان، فإن السحر من عمله، فيتقرب إلى الناشر والمنتشر بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثانى: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز، بل مستحب، وعلى النوع المذموم يُحمل قول الحسن: لايحمل السحر إلا ساحر[٢].

ومن النوع الجائز هذه الرقية النافعةلإبطال السحر: «اللهم إنك أقدرت بعض خلقك على السحر والشر، ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضر، فأعوذ بك بما احتفظت به مما أقدرت عليه بحق قولك ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٠٢].

* **من ضاع له شيء:**

سُئل ابن عمر عن الضالة فقال: يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يتشهد، ثم يقول: اللهم راد الضالة، هادى الضلالة، تهدى من الضلال، رُد علىّ ضالتى بعزك وسلطانك فإنها من فضلك وعطائك.

ودعاء آخر: اللهم ياجامع الناس ليومٍ لاريب فيه رُدّ علىّ ضالتى.

---

(١) رواه الطبرانى فى الثلاثة والهيثمى فى مجمع الزوائد والبيهقى/ حسن.

(٢) الإقتصار على ورد واحد لكل الأيام يساعد على حفظه، حيث يتم تكريره فى كثير من الأحوال والأحيان

ونختم بهذا الدعاء الجامع لأسباب الخير . . ونسأل الله الإجابة .

«اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة والعافية فى ديننا ودنيانا وآخرتنا إنك على كل شىء قدير .

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك، ودوام الإقبال عليك، واكفنا شر وساوس الشيطان، وقنا شر الإنس والجان، واخلع علينا خلع الرضوان، وهب لنا حقيقة الإيمان، وتولى قبض أرواحنا عند الأجل بيدك مع شدة الشوق إلى لقائك يارحمن .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه وعلى سائر المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، وتابع بيننا وبينهم بالخيرات والبركات، إنك قريب مجيب الدعوات .

الورد اليومى بطريقة سهلة ميسرة

«يقرأ فى الصباح وفى المساء وبعد صلاة العشاء».

- بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

- رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون.

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾..... (الفاتحة).

- ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾....... (آية الكرسى).

- ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.. إلى آخر سورة البقرة.

- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١﴾.. (سورة الكافرون).

- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.. (سورة الإخلاص ثلاثاً).

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾...(سورة الفلق).

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾.. (سورة الناس).

- ربى أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين.

- رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

- لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

- ربنا أتتمم لنا نورنا واغفرلنا إنك على كل شيئ قدير.

- رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى.

- ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

- ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.
- ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتُب علينا أنت التواب الرحيم.
- اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.
- اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، واغننى بفضلك عمن سواك.
- اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.
- سبحان الله وبحمده عدد خلقه.
- سبحان الله وبحمده زنة عرشه.
- سبحان الله وبحمده رضاء نفسه.
- سبحان الله وبحمده مداد كلماته (ثلاثاً).
- أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة.
- اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، واصلح لى دنياى التى فيها معاشى، واصلح لى آخرتى التى فيها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر.
- اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دنياى ودينى وأهلى ومالى.
- اللهم استر عورتى، وآمن روعتى، واحفظنى من بين يدى ومن خلفى، وعن يمينى وعن شمالى، ومن فوقى، وأعوذ بك أن أغُتال من تحتى.

- اللهم إنى أسألك الهدى والتُّقى والعفاف والغنى.

- اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر، والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام.

- اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع، ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايُستجاب لها.

- اللهم أنت ربى خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت، وأبوء بنعمتك على، وأبوء إليك بذنبى فاغفر لى، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت.

- اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

ثم يدعوا لنفسه ولأهله ولإخوانه ولأصحاب الحقوق عليه وللمسلمين ثم يختم دعاءه بالصلاة والسلام على النبى ﷺ.

تم الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه

مصادر الكتاب

القرآن الكريم وتفسيره

١ ـ القرآن الكريم أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم/ للإمام الجليل الحافظ عماد الدين: إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٤٤هـ ـ ط الحلبى القاهرة.

٣ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوازمى (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) ـ ط. الحلبى ١٣٥٤هـ القاهرة.

٤ ـ مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، للإمام أبى الفضل محمد فخر الدين بن عمر بن الحسن الرازى ـ الطبعة الأولى مصر.

٥ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ـ الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١هـ.

٦ ـ أنوار التنزيل وأسرر التأويل لناصر الدين أبى الخير عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٧٩١هـ ـ ط الحلبى ١٣٧٥هـ.

٧ ـ تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود محمد بن محمد العمادى (٨٩٦ ـ ٩٥١هـ) ـ ط. صبيح. القاهرة.

٨ ـ تفسير الطبرى (جامع البيان فى تفسير القرآن) تأليف ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ: (١ ـ ١٦) تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة ١ ـ ٣ القاهرة.

٩ ـ الجامع لأحكام القرآن تأليف أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن بكر بن فرج الأنصارى القرطبى ـ دار القلم ١٩٦٦ ـ القاهرة.

١٠ ـ تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار للإمام الشيخ محمد عبده وتكملة السيد رشيد رضا ـ طبع المنار ١٣٢٥هـ.

١١ ـ التسهيل لعلوم التنزيل للحافظ المفسّر محمد بن أحمد بن جزى الكلبى. ط. الحلبى سنة ١٣٥٥هـ ـ القاهرة.

١٢ ـ تفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى/ محمد حسن الحمصى ـ دار الرشيد بيروت.

١٣ ـ آيات الدعاء فى القرآن الكريم/ بحث دكتوراه لفضيلة الشيخ محمد محمود أحمد/ مكتبة كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للعلامة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى/ القاهرة ١٣٧٨هـ.

١٥ ـ محاسن التأويل/ جمال الدين القاسمى ـ ط دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابى الحلبى وأولاده ـ القاهرة.

١٦ ـ صفوة التفاسير تأليف محمد على الصابونى ـ دار الرشيد حلب سوريا.

١٧ ـ الفتوحات المكية لأبى بكر محمد بن على الطائى الحاتمى المعروف بابن عربى المتوفى سنة ٦٣٨هـ/ ط. دار الكتب.

١٨ ـ فتح القدير للشوكانى/ ط. أولى الحلبى ١٣٥٩هـ. القاهرة.

١٩ ـ تفسير الشهاب.

السُّنة وشروحها:

١ ـ صحيح البخارى بشرح الكرمانى للإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) ـ المطبعة المصرية سنة ١٣٥٣هـ.

٢ ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى: أبو الفضل أحمد على الكتانى المصرى المتوفى سنة ٨٥٢هـ ـ المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٨هـ.

٣ ـ الترغيب والترهيب للمنذرى: الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) ـ مكتبة الحديث ـ القاهرة.

٤ ـ الأحاديث المختارة للضياء المقدسى: محمد بن عبد الواجد (٥٦٩ ـ ٦٤٣هـ).

٥ ـ تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكانى/ مكتبة المتنبى.

٦ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته/ الألبانى/ بيروت.

٧ ـ الأذكار من كلام سيد الأبرار للنووى. المكتبة العصرية ـ بيروت.

٨ ـ سنن أبى داود/ ط. الحلبى سنة ١٣٧١هـ.

٩ ـ سنن الترمذى (أبو عيسى). ط. الحلبى.

١٠ ـ سنن الدارمى. ط شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٣٨٦هـ.

١١ ـ سنن ابن ماجه/ ط. الحلبى سنة ١٣٧١هـ.

١٢ ـ سنن النسائى/ ط. الحلبى سنة ١٣٨٣هـ.

١٣ ـ صحيح مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى ٢٠٦ ـ ٢٦١هـ) ـ ط. دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٤هـ.

١٤ ـ موطأ مالك: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس ـ تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ـ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٨٧هـ.

١٥ ـ مفتاح كنوز السُّنة/ الدكتور أ. ى. منستك/ ط. إدارة ترجمان السُّنة ببروت.

١٦ ـ السنن الكبرى للبيهقى: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٥٨هـ ـ ط. الهند سنة ١٣٤٤هـ.

١٧ ـ المسند لأحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) المطبعة الميمنية سنة ١٣١٣هـ، ومطبعة المعارف سنة ١٣٦٥هـ تحقيق أحمد محمد شاكر (١٣٠٩ ـ ١٣٧٧هـ).

١٨ ـ مجمع الزوائد للهيثمى: على بن أبى بكر (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ) ـ ط. دار الكتاب العربى.

١٩ ـ عمل اليوم والليلة لابن السُّنى: أحمد بن محمد (نحو ٢٨٠ ـ ٣٦٤هـ) ـ طبع دائرة المعارف بالهند سنة ١٣٢٥هـ.

٢١ ـ أحاديث أبى الزبير لأبى الشيخ ـ مخطوط.

٢٢ ـ كنز العمال: علاء الدين بن حسام الدين الهندى ـ دار المعارف النظامية بالهند سنة ١٣١٣هـ.

٢٣ ـ المستدرك للحاكم: لأبى عبد الله محمد النيابورى ـ طبعة الرياض. ط الهند سنة ١٣٣٥هـ.

٢٤ ـ الأحاديث القدسية/ النوورى/ مكتبة الاعتصام.

٢٥ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة/ الألبانى/ المكتب الإسلامى.

مراجع اللغة:

١ ـ لسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) ـ ط. دار صادر ـ بيروت سنة ١٩٥٥م.

٢ ـ القاموسى المحيط ـ الفيروز أبادى محمد بن يعقوب (٧٢٩ ـ ٨١٧) ـ دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ الصحاح للجوهرى (١ ـ ٦) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. القاهرة ١٩٥٦م.

٤ ـ المعرب للجواليقى.

السيرة والتراجم:

١ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد كاتب الواقدى المتوفى سنة ٢٧٦هـ ط. المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٣هـ.

٢ ـ مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان لسبط الجوزى: شمس الدين أبى المظفر يوسف بن قزاوغلى (٥٨١ ـ ٦٥٤) ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ ط. دار الشروف ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم المتوفى سنة ٤٣٠هـ ـ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩هـ.

٤ ـ تاريخ الملوك للطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ ـ (١ ـ ٥) ـ صورة عن الطبعة الأوربية.

٥ ـ البداية والنهاية لابن كثير/ القاهرة ١٣٥١ ـ ١٣٥٨هـ.

٦ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى لمؤلفه أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن سالم القرطبى الأندلسى (٣٤٦ ـ ٣٢٧هـ) ـ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٧ ـ قصص الأنبياء للكسائى، ط. ليدن.

٨ ـ قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس للثعلبى/ القاهرة ١٩٥٤م.

٩ ـ الكامل فى التاريخ لابن الأثير/ ط. دار الفكر العربى (بدون تاريخ).

١٠ ـ المواهب اللدنية للعلامة القسطلانى شرح العلامة محمد عبد الباقى الزرقانى المالكى وبهامشه زاد الميعاد فى هدى خير العباد لابن القيم: محمد بن أبى بكر (٦٩١ ـ ٧٥١) ط. صبيح ١٣٥٣هـ.

١١ ـ المعارف لابن قتيبه الدينوى ـ تحقيق ثروت عكاشه ـ القاهرة ١٩٦٠م.

١٢ ـ الأولياء للحافظ ابن أبى الدنيا/ تحقيق مجدى السيد إبراهيم/ مكتبة القرآن.

١٣ ـ العارف الدومى/ عبد الرحمن محمد الطاهر وعبد الرحيم عبد الجبار محمود/ القاهرة.

١٤ ـ أولياء الله الصالحون/ إبراهيم على أبو الخشب/ مكتبة القاهرة.

١٥ ـ كتاب بداية القدماء وهداية الحكماء.

١٦ ـ تهذيب ابن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١) تحقيق صلاح الدين المنجد ـ دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤م.

١٧ ـ حُسّن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله من النسوة تأليف السيد محمد صديق حسن خان بهادر ملك مملكة بهوبال (١٢٤٨ ـ ١٣٠٧هـ) ـ طبع فى مطبعة الجوانب بالقسطنصينية سنة ١٣٠١هـ.

١٨ ـ قصص الأنبياء لفضيلة الشيخ/ عبد الوهاب النجار/ ط. الحلبى ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ـ القاهرة.

١٩ ـ الزهد/ للإمام أحمد بن حنبل/ ط. الريان.

٢٠ ـ دراسات قرآنية (من أسرار النبوات فى القرآن) ـ للأستاذ حسن إسماعيل منصور ـ ط. مجمع البحوث الإسلامية ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ـ القاهرة.

٢١ ـ الإرتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل تأليف الدكتور محمد وصفى. ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٢٢ ـ مع الأنبياء فى القرآن الكريم تأليف عفيف عبد الفتاح طياره. دار العلم للملايين بيوت.

١٣ ـ طبقات الأولياء لابن الملقن: عمر بن على (٧٢٣ ـ ٨٠٤) ـ مخطوط.

مراجع الفقه:

١ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ م. سنة ١٢٥٨هـ، وحققه الشيخ محمد حامد الفقى المصرى.

٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لتقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم الحرانى (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ).

٣ ـ كتاب فتاوى شرعية وبحوث إسلامية لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق.

مراجع عامة:

١ ـ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى: أبى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ/ ط. المكتبة التجارية ـ القاهرة.

٢ ـ كتاب دائرة المعارف للبستانى.

٣ ـ السجلات القديمة والعهد الجديد للأستاذ جيمس بوشر المتوفى سنة ١٩٥٦م.

٤ ـ الرسالة القشيرية للقشيرى: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن المتوفى سنة ٤٦٥هـ ـ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ـ ط. القاهرة.

٥ ـ لطائف الإشارات للقشيرى/ ط. هيئة الكتاب.

٦ ـ مجمع الأمثال للميدانى/ القاهرة ١٣١٠هـ.

٧ ـ الدعاء والعمل تأليف د. موسى الخطيب/ ط. دار الجيل بيروت.

٨ ـ القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع/ السخاوى/ الريان.

٩ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ت. الأستاذ محمد سعيد العريان/ المكتبة التجارية الكبرى ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

١٠ ـ من دلائل الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسُّنة النبوية تأليف الدكتور موسى الخطيب ـ مؤسسة الخليج العربى ـ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١١ ـ بيان إعجاز القرآن للخطابى.

١٢ ـ الإنسان (الروح العقل والنفس) تأليف الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان/ رابطة العالم الإسلامى ـ مكة المكرمة.

١٣ ـ من الإسلام/ للشيخ سيد سابق/ مكتبة وهبه.

١٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى/ للقاضى عياض/ دار التراث القاهرة.

١٥ ـ من الذكر والدعاء عند خاتم الأولياء/للشيخ محمد الغزالى/ دار الاعتصام.

١٦ ـ شروط صحة الدعاء وآدابه/ سعيد هارون عاشور/ القاهرة الحديثة للطباعة والنشر.

١٧ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب/ لابن القيم/ المختار الإسلامى.

١٨ ـ الدعاء فى القرآن/ محمود بن الشريف/ دار المعارف المصرية.

١٩ ـ دعاء السَّحر/ الشيخ محمد محمود الصوّاف. دار الاعتصام القاهرة.

٢٠ ـ فاذكرونى أذكركم. فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر السابق/ ط. دار الشعب.

٢١ ـ إنسانيات محمد/ الأستاذ خالد محمد خالد/ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة.

٢٢ ـ مقال «دمعة على الإسلام» من كتاب النظرات ج٢ تأليف الأستاذ/ مصطفى لطفى المنفوطى. المطبعة التجارية الحديثة.

٢٣ ـ الإنسان فى القرآن الكريم تأليف الدكتور أحمد مهنا.

٢٤ ـ مقومات الإنسانية فى القرآن لكريم تأليف الدكتور أحمد مهنا.

٢٥ ـ سلّم الوصول إلى محبة الرسول/ محمود على الرفاعى/ دار التأليف بالقاهرة.

٢٦ ـ تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ وبيان فضله العظيم/ محمد طاهر الكردى/ القاهرة.

٢٧ ـ أقباس من نور الحق/ لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى/ ط. مجمع البحوث الإسلامية.

٢٨ ـ مقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى (٣١٠ ـ ٣٨٦هـ) ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٨م.

٢٩ ـ كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب ط. دار صادر بيروت.

٣٠ ـ الخالق وروعة مخلوقاته. تاليف محمد كمال حسين/ دار الفكر العربى.

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة

الموضـــــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

رقم الإيداع ١٩٩٧/٢٦٤٨
ISBN
977-294-014-0

طبع: آمون
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧